جامعة زيان عاشور بالجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ وعلم الآثار

المشرق العربي
1914 .1516

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة تاريخ
السداسي الأول و الثاني

إعداد الدكتور: آمحمد قرود

السنة الجامعية: 2025/2024

مقدمة:

تطوى السنون و الأحقاب و تتعاقب الأجيال و الدول ، ولا يبق من أنباء الأوائل إلا ما تلقى الأواخر على ألسنة الرواة ... قد يختلف الرواة في إظهار الوقائع التاريخية سلبا و إيجابا ، لكن تبقى فئات ممن أرخوا للأحداث تغلب توجهاتها و إيديولوجيتها عن حقائق و معطيات الواقع ، و في المقابل توجد نخب . و إن قلّت . تجنح للمصداقية و الأمانة التاريخية ، و هذا حال من كتبوا عن تاريخ الدولة العثمانية ، فإذا كانت هذه الدولة قد تكاثرت حولها الافتراءات والأباطيل ، فليس معنى ذلك أنها كانت مبرأة من المآخذ و العيوب ، و في نفس الوقت نؤكد أنه ليس من الدراسة الموضوعية إغفال مزايا أي دولة و الاقتصار على تسجيل عيوبها .

كان التأسيس الفعلي للدولة العثمانية نهاية القرن الثالث عشر الميلادي على يد عثمان بن أرطغرل و لما استكملت أركانها و توسعت في الكثير من مناطق البلقان توجهت نحو المشرق العربي في بداية القرن السادس عشر استطاع السلطان سليم الأول توحيد المنطقة العربية تحت ظل الخلافة العثمانية خلال النصف الأول من القرن 16 م / 10 هـ بعد ما كان مهددا بسيطرة الدولة الصفوية التي حاولت بسط نفوذ المذهب الشيعي يقودها في ذلك إسماعيل شاه المتعب لمذهبيته الضيقة ،و في المقابل كان حكم المماليك للمشرق العربي صوريا فقط وتداعت أركانه في آخر أيامهم ، ولم يبق لهم نفوذ على سياسي أو عسكري على المشرق إذا ما استثنينا مصر مقر دولتهم.

ما ميّز الحكم العثماني في المشرق العربي كونه حكما غير مباشر، فقد استعانت السلطة العثمانية بوسائط بينها وبين رعاياها تمثلت في الأسر المحلية والشخصيات الدينية والأعيان وشيوخ القبائل وفي المقابل فقد أطاع عموم المشرق العربي السلطان العثماني ، واعتبروا الخروج عليه إثارة للفتنة وخروجا عن إجماع الأمة ، وقد أعطى هذا الوضع الشرعي قوة للسلطان لم يحلم بمثلها حاكم ، هذه السلطة التي حظي بها السلطان العثماني جعلت الكثير من الثوار لا يستطيعون تحمل تهمة الخروج عن فكرة (أهل السنة والجماعة) ، وحرصوا على الادعاء بالخروج على الولاة ، وفي نفس الوقت أظهروا الولاء للسلطان .

ظلّ المشرق العربي في كنف الدولة العثمانية أقرب إلى الاستقلال السياسي و الثقافي ، وانتشرت علوم اللغة العربية و العلوم الشرعية بكل تفرعاتها مستندة إلى المنارات العلمية والتي مثلت مرجعية لكل المشرق العربي كالجامع الأزهر ، و الجامع الأموي و الحرمين الشريفين ، أما الحياة الاقتصادية فكانت أقرب إلى التقليدية و لم تشهد نهضة تذكر

مع نهاية القرن 18 م و بداية الـ 19 ظهرت حركات تمرد بالمشرق العربي هزت أركان الدولة العثمانية التي ظهرت فيها عوامل الضعف ، و كانت تلك الأحداث المتلاحقة نذير انحصار ثم انهيار الدولة العثمانية بالمشرق ، و ما زاد الطين بلّة خلال الحرب العالمية الأولى وقوف عرب المشرق في وجه الخلافة العثمانية و مناصرتهم لبريطانيا و حلفائها من خلال ما سمي بالثورة العربية 1916 و كان جزاؤهم مؤامرة سايكس . بيكو التي قسمت المشرق العربي بين فرنسا و بريطانيا ثم وعد بلفور بوطن قومي لليهود في 02 نوفمبر 1917 وكان عرب المشرق شريكا غير مباشر في ذلك الوعد المشؤم .

الدكتور: أمحمد قرّود

01 / أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية.

أ / من قبائل الأتراك إلى الدولة السلجوقية .

انطلقت قبائل الأتراك من منطقة ما وراء النهر و المسماة اليوم تركستان وتحركت خلال القرن نحو آسيا الصغرى في شكل هجرات جماعية ،

كان اتصال الأتراك بالفاتحين المسلمين منتصف القرن 07 م من خلال ملكهم . شهر براز . الذي عقد صلحا مع قائد الجيش الإسلامي عبد الرحمن بن ربيعة ، من هنا تدخل القبائل التركية في الإسلام[1] ، لتشكّل قوة داعمة للفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين و الدولة الأموية ، و صارت لهم مكانة كبيرة في الدولة العباسية و تولوا مناصب قيادية في الجيش و الإدارة خاصة في عهد المعتصم .

أسس السلاجقة الأتراك دولتهم في القرن 05 هـ / 11 م و شملت : خرسان ما وراء النهر ، إيران ، العراق ، بلاد الشام ، آسيا الصغرى ، و قد ساندوا الخلافة العباسية السنية بعدما أوشكت على الانهيار أما النفوذ البويهي الشيعي في إيران والعراق ، و الفاطمي في مصر و الشّام.

و كان للسلطان السلجوقي طغرل بك دورا كبيرا في إنقاذ بغداد عاصمة الخلافة العباسية السّنية من السيطرة البويهية الشيعية ، و قد خلّد التاريخ الكثير من الزعماء السلاجقة الأتراك ومن أبرزهم السلطان محمد الملقّب بألب أرسلان و المعروف بالأسد الشجاع ، وهو مؤسس الدولة السلجوقية ، و قد حقق انتصارات كبيرة على الإمبراطورية الرومانية و اسر ملكها أرمانوس[2] .

. السلطان أبو علي قوام الدين المعروف بنظام الملك و عرف بعلمه و تبجيله للعلماء

. السلطان علاء الدّين الكبير الذي واجه زحف المغول من الشرق ن و ضغط البيزنطيين من الغرب ، و قد شبهه المؤرخون بالسلطان العثماني سليمان القانوني .

. السلطان غيّاث الدّين أبو شجاع محمّد ، كان آخر حكّام الدولة السلجوقية الأقوياء الذين جابهوا الزحف المغولي في أوجه .

---

1 . للمزيد عن ظروف دخول القبائل التركية الإسلام عد إلى : يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مراجعة و تنقيح : محمود الأنصاري ، المجلد الأول ، منشورات مؤسسة فيصل للتموين ، تركيا أستنبول ، 1988 ، ص ت ص ك 45 . 47 .

2 . علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية ، عوامل النهوض و أسباب السقوط ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ، ط 01 ، 2006 ن ص : 30 . انظر أيضا : يلماز أوزتونا : المصدر السابق ، ص : 67 .

انقسمت الدولة السلجوقية في آخر عهدها إلى إمارات في شمال العراق والشّام و عرفت بالأتابكيات ، و كان من أبرز عوامل إنهيار الدولة السلجوقية والتي مهّدت لسقوط الخلافة العباسية :

.الانقسام الداخلي بين السلاجقة .

. عجز السلاجقة عن توحيد المشرق العربي . الشام ، مصر ، العراق – تحت راية الخلافة العباسية .

.قوة النفوذ الصليبي القادم من أوروبا .

ب/ قيام الدولة العثمانية .

تنسب الدولة العثمانية إلى قبيلة (القايي أو الكاي)التركية التي هاجرت من أواسط آسيا (إقليم تركمنستان) إلى الأناضول في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، كان يقودها سليمان شاه وبعد وفاته خلفه ابنه أرطغرل بك الغازي . 1191 . 1281 م . الذي يعّد الشخصية الأولى في بعث الدولة العثمانية ، و هو قاد القبيلة إلى بلاد آسيا الصغرى (تركيا اليوم) ، وهناك قدم الأتراك مساعدة إلى سلطان مدينة قونية علاء الدين السلجوقي في حربه ضد البيزنطيين فمنحهم منطقة مقاطعة سوغوت المحاذية للحدود الشرقية البيزنطية كمكافأة لهم عام 1285م. ، و من تلك المقاطعة تأسست الإمارة ثم الدولة العثمانية[1] .

توفي أرطغرل سنة 1281 و خلفه أبنه عثمان . 1281 . 1324 . الذي يعد المؤسس الأول للدولة العثمانية و سميت باسمه ، و قد وطّد أركان دولته بمنطقة الأناضول بعد صراع مرير ضد المغول ، و إحرازه لانتصارات عسكرية كبيرة على البيزنطيين[2] .

بحلول عام 1300 م استولى المغول على دولة السلاجقة الأتراك ، و توفي سلطان علاء الدين الثالث ، فاستقل كل أمير بإمارته على أنقاض الدولة السلجوقية وبلغ عددهم 13 أميرا ، كان من أبرزهم عثمان بن أرطغرل الذي أخذ لقب السلطان[3] .

1. محمد خير فلاحة : الخلافة العثمانية من المهد إلى اللّحد ، مجلة الفسطاط التاريخية ، 2005 ، ص : 12

2. سيّد الدقن : دراسات في تاريخ الدولة العثمانية ، مكتبة القاهرة ،ط01 ، 1979 ، ص : 10 .

3. محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية و المسألة الشرقية ، دار الشرق ، القاهرة ،ط02 ، 1976 ، ص ، ص: 12، 14 .

مضى عثمان يوسّع رقعة إمارته و فرض سيطرته على الكثير من المناطق و المدن كان آخرها و أهمها مدينة بورصا 1324 م ، و قد وصلته أخبار فتحها و هو على فراش الموت ، و كان أبنه أورخان على رأس الجيش الفاتح لمدينة بورصا[1].

و قد أوصى عثمان بأن يدفن فيها ، و صارت تلك المدينة الإستراتيجية عاصمة جديدة للدولة العثمانية الناشئة[2].

وبوفاته خلفه أبنه السلطان أورخان . 1324 . 1362 م . الذي و حّد القبائل التركية و ورث الدولة السلجوقية .

ج / نظام الحكم في الدولة العثمانية .

استمرت ما يقرب من 600 سنة ، و تعدّ أكبر دولة أو خلافة عرفها العالم الإسلامي، و قامت الخلافة العثمانية على مبادئ الشريعة الإسلامية التي كانت تمثل القانون الفعلي للدولة ،كما أخذت بالأعراف و التقاليد التي لا تتعارض مع الشّرع الإسلامي .

قام نظامها السياسي على ثلاث مرتكزات أساسية :

*** / السلطان أو الخليفة .**

هو الحاكم و رئيس الدولة و خليفة المسلمين ، و القائد العام للقوات العثمانية و يعتبر في القانون العثماني الممثل الوحيد لمصالح الإسلام و المسلمين ، و قد اجتمع علماء الإسلام منّذ الخلافة الراشدة و حتى العهد العثماني أن الحاكم أوالخليفة يعتبر خليفة لرسول الله صلى الله عليه سلّم ، و عليه حماية الإسلام والمسلمين وتنفيذ الأحكام الشرعية و أن يحكم بالعدل و المساواة ، و أنّ طاعته واجبة على كل المسلمين حتى و لو كان ظالما حتى تتجنّب الأمة الفتن ويستدلون في ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه سلّم : عليكم بالسمع و الطاعة و لو تأمّر عليكم عبدا حبشيا.

كان السلطان أو الخليفة العثماني رمزا للوحدة الروحية بين كل المسلمين ويخطب باسمه في منابر المساجد و تضرب السكة باسمه .

---

1 . نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني 1453 ،دراسة و ترجمة : حاتم عبد الرحمن الطحاوي ، عين للبحوث و الدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، القاهرة ، ط01 ، 2002 م، ص ، ص : 17،18 .

2 . لمزيد عن فتح بورصا و فتوحات أورخان عد إلى : روبير مانتيران : تاريخ الدولة العثمانية ، الجزء 01 ، تحقيق ، بشير السباعي ، ص : 24 و ما بعدها .

عرف على النظام السياسي العثماني بأنه وراثي ، فكان الابن الأكبر يخلف أباه غالبا و أحيانا يختار السلطان الأجدر من أبنائه بالحكم ، بعد اختبارهم في ميادين السياسة و القيادة العسكرية .

امتدت المرحلة الذهبية للسلاطين العثمانيين من عثمان الأول إلى سليمان القانوني ، حيث لم يظهر بعده سلاطين بنفس الشهرة التي عرفها أولائك السلاطين عدا السلطان مراد الرابع .

***/ الصّدر الأعظم .**

هو مستشار السلطان و نائبه ن و رئيسا للوزراء و قد استحدث هذا المنصب الإداري السلطان أورخان بن عثمان بتعينه أخاه علاء الدين كصدر أعظم يتمتّع بصلاحيات واسعة في الدولة ، فهو يشرف على كل التعيينات المدنية والعسكرية وإذا تعذّر على السلطان قيادة الحملات العسكرية يتولى الصدر الأعظم تلك المهمة.

مما جاء في القانون العثماني عن مكانة الصدر الأعظم : ليعلم أولا أنّ الصدر الأعظم هو رئيس الوزراء و الأمراء ، إنه أعمهم جميعا ، و صاحب الصلاحية الواسعة في إدارة شؤون الدولة [1] .

لمّا بدأ الضعف يدبّ في كيان الدولة العثمانية صار الصدر الأعظم صاحب الأمر و النهي في الدولة ، و تكاد صلاحياته تغطي على صلاحيات السلطان .

*** / شيخ الإسلام .**

هو أعلى سلطة دينية في الدولة العثمانية ، يشرف على مؤسسة رسمية تسمى مشيخة الإسلام ، و هي هيئة إسلامية تعتبر أهم الأسس التي قام عليها المشروع الإسلامي العثماني ، كان لتلك الهيئة التي يرأسها شيخ الإسلام صلاحيات واسعة منها : مراقبة مدى مطابقة القوانين العثمانية للشريعة الإسلامية ، الإشراف على القضاة ، و الشؤون الدينية و السياسة التعليمية ، تميزت باستقلالها المالي من خلال الأوقاف الإسلامية التي تدرّ عليها أموالا ضخمة .

---

1 . محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني ، كيف نشأت و ارتقت السلطنة العثمانية ، و إلى أي حد بلغت عظمتها، ج 02 ، مكتبة بيروت ، 1925 ، ص : 62 . ، للمزيد عن دور الصدر الأعظم وسلطاته داخل الدولة العثمانية و الأخطار التي تجابهه انظر : عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ص.ص : 360. 365 .

يشرف شيخ الإسلام على القضاة و يقوم بتعيينهم ، و يعتبر مرجعية كل القضايا الشرعية والإفتاء في الدولة العثمانية[1] ، و يساعده ثلاثة قضاة على مستوى الدولة و يلقّب كل واحد بقاضي القضاة ، يشرف الأول على قضايا الأناضول ، و الثاني على الروم أيلي – البلقان .و الثالث قاضي الأقاليم الإفريقية .

د / الجيش العثماني .

نظرا للأخطار المحيطة بالدولة العثمانية كان الجيش أساس قوتها ، و قد ظهر في قوتين ضاربتين .

01 / الجيش البري .

في سنة 1330 م وضع أورخان بن عثمان أسس جيش نظامي بالاعتماد على الأطفال المسيحيين القادمين من البلقان الذين يقوم بتربيتهم وفق المبادئ الإسلامية وتنشئتهم عسكريا ، و سميت فرق ذلك الجيش الناشئ بالإنكشارية – يني تشيري . ويعني القوة الجديد أو الجيش الجديد ، و كان يتكوّن في غالبيته من الجنود المشاة[2]

كان الشباب الإنكشاري يلتحقون بالمدارس العسكرية حيث يتلقون تدريبا صارما عقليا وجسميا ، من خلال التربية العسكرية الشاقة ، و التربية الإسلامية يتعلمون من خلالها مبادئ الإسلام و حب الجهاد و الشهادة ، ويدرسون التاريخ الإسلامي و اللغة العثمانية .

قسّمت كل فرقة إنكشارية متخرجة إلى ثلاث مجموعات :

.مجموعة تلتحق للعمل بالقصر السلطاني .

.مجموعة يعين أفرادها في المناصب العليا للدولة .

. المجموعة الثالثة تلتحق بفرق المشاة في الجيش العثماني وهم الذين يأخذون اسم الإنكشارية

من قواعد الجيش الإنكشاري الثابتة .أنّ السلطان والده و الثكنة مأواه والحرب وظيفته ، و القرآن عقيدته ، و هدفه في الحرب الشهادة في سبيل الله أوالانتصار لإرضاء السلطان .

1 .تفس المرجع ، ص : 399 ، انظر كلك : محمد جميل : المرجع السابق ، ص : 124 .

2. روبير مانتيران : المرجع السابق ، ص : 287 و ما بعدها .

إلى جانب الإنكشارية تواجدت فرق الصبايحية – Les Sipohi ، و هم الفرسان الذين وصل تعدادهم سنة 1527 إلى 20 ألف فارس[1] .

انقسم الصبايحية إلى ثلاثة أقسام :

. صبايحية الباب العالي وهم الفرسان المشكلون لجيش السلطان .

. صبايحية المناطق أو الولايات ، و هم الفرسان ال\ين يعتمد عليهم قادة المناطق في الحروب .

. صباحية غير الأتراك ، تقدم القبائل أولائك الفرسان للدولة مقابل الحفاظ على أمنها و حصولها على اقتطاعات الأراضي .

كان الجيش العثماني البري أول جيش نظامي دائم في أوروبا ، و قوته الضاربة الإنكشارية ، و قد صار سنة 1447 أكبر جيش في العالم [2] .

مع نهاية القرن 16 م دخل أفراد الإنكشارية للحياة المدنية ، فسمح لهم بالزواج والإقامة خارج الثكنات ، و مالوا للحياة المادية و جمع المال ، و استقطبتهم السياسة و صارت الجندية بالنسبة للكثير منهم مهنة للارتزاق ، و خفت روح الجهاد والاستشهاد في نظام الإنكشارية ، فتلقوا هزائم كبيرة سنوات 1674 ، 1688 ووزادت أوضاعهم تدهورا خلال القرن 19 م ، وصاروا عبئا على الدولة العثمانية ، مما دفع السلطان محمود الثاني إلى إنهاء قصة أعظم جيش بالواقعة الخيرية سنة 1826م .

02/ البحرية العثمانية .

لم يهتم العثمانيون في بداية تأسيس دولتهم بالقوة البحرية بقدر اهتمامهم بالجيش البري ، لكن إطلال الدولة العثمانية على مساحات بحرية واسعة والأخطار التي تفرضها الأساطيل الأوربية خاصة في البحر المتوسط ، فرضت على العثمانيين الاهتمام بالأسطول البحري ، و قد حقق ذلك الأسطول انتصارات كبيرة سيطرت بها الدولة العثمانية على الكثير من الممرات البحرية و الجزر و الموانئ الحيوية ، حتى صار الأسطول العثماني خلال القرنين 15 ، 16 م من أقوى الأساطيل البحرية في العالم .

1. نفس المرجع ، ص ، ص : 301 ، 302 .

2. يلماز أوزتونا : المصدر السابق ، المجلد 02 ، ص : 374 .

*** نشأة و تطورالأسطول العثماني .**

بدأ تأسيس الأسطول العثماني مع الخليفة العثماني الأول عثمان بن أرطغرل الذي أنشأ أول ميناء للسفن الحربية سنة 1324 م ، هو **ميناء قرة مرسل** ، و قام من بعده السلطان أور خان بتطوير الأسطول البحري حيث أنشأ الأسطول الأول العثماني من 10 سفن مجهزة ، و كان مقرّه مدينة أزمير .

تطور الأسطول العثماني مع تالي السلاطين ، و أصبحت البحرية اعتبارا من عام 1390 قوة بحرية لا يستهان بها[1] ، إلى أن بلغت مكانة عالمية كبيرة في عهد السلطان محمد الفاتح ، حين كان للبحرية العثمانية الدور الحاسم في حصار وفتح مدينة القسطنطينية ، و شاركت 400 سفينة في معركة الفتح سنة 1453 م لينشئ السلطان محمد الفاتح دار السفن الحربية سنة 1454م ، و تمكّن قبل 1470 من قوته البحرية معادلة لأكبر قوة بحرية في البحر المتوسط ، و في عهد السلطان سليمان القانوني أصبحت القوة البحرية العثمانية تتفوق على مجموع القوات البحرية في العالم.

خلال القرن 16 م أولى السلطان سليم الأول عناية بالغة للأسطول البحري خاصة في بحر إيجا و البحر المتوسط و عيّن خير الدين بربروس مشرفا على الأسطول العثماني في البحر المتوسط ، و قد تمكن من إنقاذ الأندلسيين و مواجهة التهديدات الإسبانية و البرتغالية لسواحل دول المغرب العربي .

تعرّض الأسطول العثماني إلى ضربات أدت إلى ضعفه و تراجع سيادته على الساحة البحرية ، و يعود السبب الرئيسي في ذلك إلى نهاية القرن الـ 17 م حيث أخذت أوروبا بالثورة الصناعية و تطورت ترسانتها البحرية مما جعل ميزان القوى يميل لصالح أوروبا[2] .

من المعارك التي أجهزت على الأسطول العثماني معركة نافرين 20 / 10 / 1827 ، و تعد من أشرس المعارك البحرية بين الأسطول الإسلامي – العثماني الجزائري ، المصري و أساطيل بريطانيا ، فرنسا ، روسيا ... و مثّلت الانهيار الحقيقي للأسطول العثماني ، أمّا النهاية الفعلية للقوة البحرية العثمانية فكانت بنهاية الحرب العالمية الأولى ، و سيطرة دول الحلفاء على البحرية العثمانية بعد استسلامها في ... أكتوبر 1918 .

---

1. نفس المصدر ، ص : 421 .

2. يلماز أوزتونا : المصدر السابق ، ص : 422 .

هـ / التوسع في البلقان .

توسعت الفتوحات العثمانية نحو أوروبا ابتداء من سنة 1356 م في عهد السلطان أورخان الذي وصل (أنقرة و نقية) و من بعده مراد الأول (1362 . 1389) مستغلين الصراع بين الأمراء الأوربيين ، و الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت ، فاستولت الدولة العثمانية على مناطق واسعة في البلقان منها : اليونان ، بلغاريا ، رومانيا ، صربيا المجر ، البوسنة و الهرسك ، ألبانيا ، الجبل الأسود ،ثم حكم بايزيد الأول (1398م-1403م) ابن مراد الأول الذي فتح صربيا وجزءا من البوسنة، كما توسع في أنقرة والإمارات التركية المطلة على بحر إيجه.

و/ فتح القسطنطينية[1] .

تصارع أولاد بايزيد الأول على السلطة من 1403م إلى 1413م وتمكن السلطان محمد الأول (جلبي) 1403م-1481م من السيطرة على البلاد فربط علاقات صداقة مع أمراء الأناظول المسلمين ثم تابع خلفاؤه التوسع على حساب البيزنطيين ومنهم محمد الثاني (الفاتح) الذي نجح في فتح القسطنطينية عاصمة المسيحيين في الشرق الأوروبي في 29 ماي 1453م وحولها إلى عاصمة لدولة على الطراز الإسلامي وأسماها اسطنبول (عاصمة الإسلام) واستولى على المناطق الشرقية من الأناظول وبنى مسجدا حول ضريح الصحابي أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد وهو يحاول فتح القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان ، تواصلت فتوحات العثمانيين في البلقان وبلغت قوتها في عهد سليمان القانوني الذي فتح جزيرة رودس في المتوسط وعاصمة المجر بوداباست وحاول فتح مدينة فيينا سنة 1529م[2].

02 / أوضاع المشرق العربي قبيل الفتح العثماني

يقصد بالمشرق العربي هنا خصوص مصر و الشام و الحجاز باعتبارها مراكز التأثير السياسي ، و التي كانت تحت سيادة المماليك ، إلى جانب العراق كانت مركز

1 .لمعرفة المزيد عن مدينة القسطنطينية و مكانتها الحضارية عد إلى : حضرة عزتلو يوسف بك آصاف : تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم إلى الآن : تقديم : محمد زينهم محمد عزت ، مكتبة مدبولي القاهر ، مصر ، ط 01 ، 1995 ، ص.ص : 19. 28 .

2 .عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ، ج 01 ، مطبعة جامعة القاهرة ، ط 01 ، 1980 ، ص : 09 .

استقطاب بين المماليك السنّة و الصفويين الشيعة، ثم تأتي اليمن من حيث الأهمية الإستراتيجية للدول المتنازعة عن المشرق العربي .

عمل المماليك على جعل مصر وباد الشام وحدة إدارية و قسموها إلى نيابات مثل نيابة القاهرة و نيابة الإسكندرية و دمشق و حلب و القدس و بيروت ، أما الحجاز و اليمن حكما شبه ذاتي .

في بداية النصف الثاني من القرن 13 م تمكّن المماليك من إنقاذ المشرق العربي و العالم الإسلامي عموما من الخطر المغولي الزاحف نحو بلاد الشام في معركة عين جالوت سنة 1258 م بقيادة الظاهر بيبرس- 1260 . 1278 . الذي يعدّ من أبرز سلاطين المماليك ، و معه المظفّر قطز بعد ما وحّدا بلاد الشام مع مصر .

مع بداية القرن 15 م دبّ الضعف في المشرق العربي بضعف الدولة المملوكية ، و مال الكثير من المشارقة . و حتى بعض المماليك . للدولة العثمانية التي سمعوا بانتصاراتها وفتوحاتها بأوروبا ، و صار العثمانيون البديل المنتظر في المشرق العربي .

أمام تعاظم مكان الدولة العثمانية على الساحة الدولية و في قلوب المسلمين وخشية على نفوذهم اتخذ حكام المماليك موقفا عدائيا من الدولة العثمانية مع بداية القرن 10 هـ / 16 م ، من خلال سلطانهم قانصوه الغوري 1501 / 1516 م الذي ساند الأمراء العثمانيين المعارضين للسلطان سليم الأول ، و زاد عداوته للدولة العثمانية بمناصرته للصفويين الشيعة الذين كانوا ينصبون أشد العداء للدولة العثمانية السنية 1 .

03 / الفتح العثماني للمشرق العربي .

أ / أسباب الفتح العثماني للمشرق العربي .

أحدث السلطان العثماني سليم الأول تغيرا كبيرا في الإستراتيجية العسكرية للدولة العثمانية ، فقد توقّف في عهده الزحف العثماني نحو الغرب الأوربي أو كاد أن يتوقف ، و اتجهت الدولة العثمانية اتجاها شرقيا في قلب المشرق العربي [2] .

1 . الغالي غربي : دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288 . 1916) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2007 ، ص : 57 . . انظر : شاكر مصطفى : موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها ، ج 03 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1993 ، ص : 1580 .

2 . ساطع الحصري : البلاد العربية و الدولة العثمانية ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، 1965 ، ص : 42 .

طرح المؤرخون ثلاث آراء تفسر هذا التوجه العثماني بقيادة سليم الأول في بداية القرن 16 م نحو المشرق العربي و تتلخّص تلك الآراء فيما يأتي :

. الرأي الأول يقول أن أنظار الدولة العثمانية اتجهت نحو المشرق العربي و كان دافعا حماية العالم الإسلامي السني من سياسة الدولة الصفوية التي عملت لبسط نفوذ المذهب الشيعي في العراق و آسيا الصغرى ، يقودها في ذلك إسماعيل باشا* الصفوي 906 / 931 هـ . 1500 / 1524 م ، الذي قاد حركة قومية مذهبية عملت على توحيد إيران و التمكين للمذهب الشيعي الإثنى عشري في البلاد المجاورة لها وقام بغزو العراق عام 914 هـ / 1508م بحجة ضمه مقابر أئمة الشيعة في كربلاء والنّجف و التي يسمونها المزارات أو العتبات المقدسة ..

أتبع إسماعيل الصفوي سياسة معادية لدولة العثمانية من خلال بثت الدعوة الشيعة في الأناضول و إثارة الأقليات الشيعية هناك ، و أصبحت إيران ملجأ للمعارضين للدولة العثمانية مما دفع بالسلاطين العثمانيين إلى تفريق الشيعة المقيمين في الدولة العثمانية في الولايات العثمانية الأوروبية .

ردّ إسماعيل الصفوي على ذلك بتنفيذ مذابح جماعية ضد السنة في بلاده مما أدى إلى جرب مباشرة بين الدولتين .

. الرأي الثاني يرى أن الدولة العثمانية بنهاية القرن 15 م قد حققت جل أهدافها العسكرية في الغرب من خلال فتوحاتها في أوروبا ، و أن اهتمام العثمانيين قد توجّه نحو المشرق العربي ، رغم أنّ فتوحاتها في البلقان لم تنقطع ، لكن الطابع الغالب على الإستراتيجية العسكرية العثمانية في الجبهة الغربية كان دفاعيا أكثر منه هجوميا .

. الرأي الثالث يعتقد أصحابه أن التوجه العثماني نحو المشرق العربي جاء لحماية المشرق العربي من الخطر البرتغالي الذي بدأ يشكل تهديدا مباشرا على المنافذ البحرية للمشرق العربي مع بداية القرن ال16 م خاصة مضيق باب المندب وسواحل البحر الأحمر[1] .

ب / اندفاع العثمانيين نحو المشرق العربي .

1 . محمد أنيس ، رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النشر للتوزيع القاهرة ، مصر ، 1978 ، ص . ص : 39 . 40 .

كان المشرق العربي في مطلع القرن 16 م ، 10 هـ تابعا لدولة المماليك [1] الذين وقفوا في البداية موقفا عدائيا من الدولة العثمانية من خلال سلطانهم قانصوه الغوري[2] (907 . 922 هـ / 1501 . 1516 م) [3] ، و الذي ساند الأمراء العثمانيين المعارضين للسلطان سليم الأول ، كما وقف في صف الشيعة الصفوية الذين كانوا ينصبون أشد العداء للدولة العثمانية السنية [4].

اندفعت الدولة العثمانية نحو المشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السني بصفة عامة من سياسة الدولة الصفوية التي حاولت بسط نفوذ المذهب الشيعي يقودها في ذلك إسماعيل شاه المتعب لمذهبيته الضيقةوتمكن السلطان سليم الأول من هزيمة الصفويين في معركة جال ديران 920 هـ / 1514 Tchaldiran ودخول عاصمة الصفويين تبريز [5].

اختلّ التوازن السياسي في المشرق العربي بعد معركة جال ديران لصالح العثمانيين ووضعوا نصب أعينهم دولة المماليك المتهالكة والمشرفة على الأماكن المقدسة والتي تضفي الشرعية الدينية على الدولة التي تحوزها ، وعمل سليم الأول على استمالة بعض الأمراء المماليك في مصر والشام ، كان من أبرزهم خاير بك جان بردي الغزالي [6].

---

1 . يعود أصل المماليك إلى الرقيق الآسيوي الأبيض من (الأتراك والشراكسة) وموطنهم الأصلي حوض نهر الفولغا شمال البحر الأسود ومن القوقاز وكان التجار الرقيق يحصلون على هؤلاء المماليك عن طريق الأسر في الحروب أو الخطف من أهلهم و قد أكثر سلاطين الدولة الأيوبية من جلب المماليك لدعم القوة الحربية ، حتى صاروا الأداة الحربية الأولى في دولة المماليك بمصر والشام . انظر : عصام محمد شبادو : السلاطين في المشرق العربي : معالم دورهم السياسي والحضاري ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، 1994 ، ص : 07 .

2 . هو الملك الأشراف أبو النصر سيف الدين قانصوه الغوري الظاهري الأشرفي ، من آثاره أنه بنى سور مدينة جدو ، وبعض أروقة المسجد الحرام ، وآبار في طريق الحج المصري ، وعمر أبراج الإسكندرية . انظر : محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت لبنان ، ط01 1981 ، ص : 192 .

3 . علي محمد الصلابي : المرجع السابق : ص : 229 .

4 . محمد ناصر مهنا : الإسلام في آسيا منذ الغزو المغولي ، المكتب الجامعي الحديث ، بيروت لبنان ، ط 1 1990 ، ص : 240 .

5 . الغالي غربي : المرجع السابق ، ص : 57 .

6 . محمد بن أبي السرور البكري الصديقي : المنح الربانية في الدولة العثمانية ، تحقيق : ليلى الصباغ ، دار البشائر ، ط1 ، 1995 ، ص ص: 84 ، 85 ، انظر :

ج / دخول الجيش العثماني للشام بعد معركة مرج دابق[1] .

كانت مرج دابق Marg Dabik .24 آب 1516. إحدى أكبر معارك التاريخ في المشرق العربي الإسلامي[2] بين الجيش العثماني يقوده السلطان سليم الأول والمماليك بقيادة قانصو الغوري الذين أبدوا شجاعة نادرة أحرجت العثمانيين لولا خيانة خايربك نائب حلب وقوة سلاح المدفعية العثمانية التي كانت أفضل مدفعية في العالم ذلك الوقت ، وانتهت بهزيمة ساحقة للمماليك وقتل سلطانهم قانصو الغوري[3] .

أمام هذه الهزيمة المدوية للمماليك لم يبق أمامهم إلا الانسحاب نحو مصر علهم يحصنونها ويستعدون لمواجهة عثمانية ثانية فاصلة ، أما السلطان سليم الأول فقد دخل حلب في 28 آب 1516 ونودي به في خطبة الجمعة (خادم للحرمين الشريفين)[4] وأصبح يعرف بسلطان المسلمين أو (بادي شاهين إسلام)[5] واستقبلت المدن الشامية سليم الأول وجيشه استقبال الفاتحين من حلب إلى حماة وحمص ودمشق ودعي له في الجوامع وسكت النقود باسمه[6] .

Laous t , les gouverneus de damas sous les Mameelouks et les premiers ottomans . Damas .1952 . P . 155 .

1 . مرج إلى الشمال الغربي من حلب ، وفيه قرية دابق ، من عمالات إعزاز ، كان الأمويون يعسكرون فيه إذا غزوا صيفا بلاد الروم ، توفي و دفن فيه سليمان بن عبد الملك عام 99 هت / 717 م ، و هو على الطريق بين منبج و انطاكية ، انظر . محمد بن أبي السرور البكري الصديقي : المنح الربانية في الدولة العثمانية ، تحقيق : ليلى الصباغ ، دار البشائر ، ط1 ، ص : 74 .

2 . عصام محمد شبادو : السلاطين في المشرق العربي ، الرجع السابق ، ص : 117 ، انظر : جميل بيضون : تاريخ العرب الحديث : دار الأمل للنشر والتوزيع ، الاردن ، 1991 ، ص : 36 .

3 . نيكولا ايفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية (1516 . 1574) ، تر : يوسف عطا الله ، دار الغرب الإسلامي،ب يروت ،1988 ، ص : 66 . . انظر :سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، (د.ت) ، ص : 279 .

4 . خادم الحرمين الشريفين لقب اتخذه صلاح الدين الأيوبي بعد استعادة القدس وقد تبناه الظاهر بيبرس وخلفاؤه من سلاطين المماليك . انظر : محمد بن أبي السرور : المنح الربانية ... ،المصدر السابق :ص: 83

5 . عصام محمد شبادو : السلاطين في المشرق ... ، الرجع السابق ، ص : 118 .

6 . محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة : دار القلم ، دمشق ، 1989 ، ص : 29 . . انظر فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية ... ، المصدر السابق ، ص . ص : 192 . 193 . .،

د / فتح مصر بعد معركة الريدانية.

في الظّروف اختار المماليك طومان باي[1] سلطانا لهم في مصر ، وأخذ يستعد للمعركة الحاسمة مع العثمانيين،وحسب أغلب الروايات التاريخية فإن سليم الأول كان راغبا في أن يدع للمماليك حكم مصر شريطة أن يعترفوا بسيادته من طريقي الخطبة والسكة ولكن طومان باي أبي أن يقر بذلك ، وكانت معركة الريدانية[2] Raydania جانفي 1517 م هي الفيصل فقد دامت ثلاثة أيام وانتهت بهزيمة المماليك ومقتل طومان باي ، و بذلك تنتهي دولة المماليك الثانية ودخلت مصر والشام في نطاق الممتلكات العثمانية (... ويمكن اعتبار فترة البكوات العثمانية : 1571 . 1801 ، بمثابة دولة المماليك الثالثة في ظل الدولة العثمانية)[3].

تجدر الإشارة إلى أن أغلب المؤرخين ذكروا بأن سكان الشام ومصر قد رحبوا بالعثمانيين لما سمعوا عنهم من الانتصارات ضد الحركة الصليبية الجديدة الإسبانية البرتغالية ولما عانوا من الحكم المملوكي ، لكن ظهرت بعض الكتابات العربية الناشزة التي اعتبرت أن الزحف العثماني على المشرق العربي احتلال وتوسع تركي كان يتوجب مقاومته من هؤلاء المؤرخين : الكاتبان صلاح زهر الدين و عناية الله رضا مسايرين في

1 . اختير طومان باي سلطانا للمماليك خلفا للغوري في اكتوبر 1516 ، واخذ لقب الاشرف دامت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوم ن وهو ابن اخ السلطان قانصوه الغوري الذي عينه نائبا له في مصر عند سفره لبلاد الشام ، وتجمع المصادر التاريخية على شجاعته ورباطة جأشه ، شنق في باب الزويلة بالقاهرة في 03 افريل 1517 وكان آخر سلاطين المماليك .انظر : عبد الفتاح عاشور : مصر والشام ، المرجع السابق ، ص ص : 281 ، 282 .، انظر: محمد بن أبي السّرور البكري : المنح المحمدية في الدولة العثمانية ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان 1989، ص : 86 .

2 . حي سابق في الضاحية الشمالية للقاهرة عرف أيضا باسم بستان ريدان نسبة إلى منشئه (ريدان الصقلي) وتسمى اليوم (العباسية) ، انظر : محمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، القاهرة 1383 هـ ، ج2 ، ص : 619 .انظر أيضا . محمد عبد المنعم الراق : الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، (د، ت) ، ص.ص : 174 . 175 .

3 . عصام شبادو : السلاطين ... ، الرجع السابق ، ص : 121 انظر . عمر عبد العزيز عمر : الشرق العربي المعاصر ، الإسكندرية ، 1990 ، ص : 25 . وعن تلك الإحداث . انظر : محمد بن أحمد ابو البركات (ابن اياس) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ج 5 ص : 142 و ما بعدها .

ذلك نظرة المدرسة التاريخية الغربية التي عملت بكل الوسائل على تشويه التاريخ العثماني تمهيدا لحركة استعمارية جديدة [1]

من المحطات التاريخية البارزة بعد فتح العثمانيين لمصر ، قضية انتقال الخلافة إلى آل عثمان فقد اختلفت الروايات التاريخية وأحيانا تضاربت ، فبعضهم يرى أن آخر الخلفاء العباسيين (المتوكل على الله) قد تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية للسلطان سليم الأول وسلمه الآثار النبوية الشريفة (البيرق و السيف والبردة)[2] ، أما المستشرقون وفي مقدمتهم بروكلمان فيرون أن المتوكل قد حمل إلى اسطنبول وأكره على التنازل عن الخلافة للسلطان سليم الأول و تدخل مثل هاته الآراء في خدمة المشروع الإستشراقي الهادف لتحريف التاريخ الإسلامي .

رغم اختلاف الآراء في موضوع انتقال الخلافة إلا أنه لا يوجد حكم يقني في هذا الشأن لانعدام أي وثيقة تاريخية تشير إلى وقوع ذلك الحدث الهام[3] ، ومن جهة أخري لم يتطرق إليه المؤرخون المعاصرون للأحداث أمثال ابن إياس ، لكن الواقع التاريخي يقول إن السلطان سليم الأول أطلق على نفسه لقب (خليفة الله في طول الأرض وعرضها) قبل فتحه الشام ومصر [4] .

هـ / دخول الحجاز في ظل الخلافة العثمانية.

في آخر أيام دولة المماليك كانت العلاقة قد ساءت بين أشراف الحجاز والسلطان الغوري لتغاضيه عن الخطر البرتغالي في البحر الأحمر ، و تضيقه على سواحل جدة التجارية ، و قد نتج عن ذلك الخلاف اضطرابات في الحجاز ، قام على إثرها الغوري باعتقال بعض القضاة و العلماء الحجازيين بالقاهرة .

لمّا دخل السلطان سليم الأول القاهرة لم يبق أمام العثمانيين من أقاليم المشرق العربي ذات الأهمية السياسية والدينية سوى الحجاز، وقام بالإفراج عن المعتقلين

1 . صالح زهر الدين ، عنايت الله رضا : التوسعية التركية في الوطن العربي وايران ، مطبعة سبورك بيروت ، لبنان ،1992 ، ص : 18 و ما بعدها .

2 . فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص : 194 .

3 . الغالي غربي : المرجع السابق ، ص : 64 ..انظر : مصطفى شاكر : المرجع السابق ، ص ، ص : 1580 ، 1581 .

4 . الغالي غربي : المرجع السابق ، ص : 64 ..انظر : مصطفى شاكر : المرجع السابق ، ص ، ص : 1580 ، 1581 .

الحجازيين بالقاهرة ، فعرضوا عليه أن يكتب إلى أمير مكة الشريف بركات الثاني 1495 . 1524 ، ليدخل في طاعته ، و قد وجد الشريف بركات أنه من الحكمة قبول السيادة العثمانية[1] ، فباد إلى تقديم السمع والطاعة للسلطان سليم الأول بإرسال ابنه إلى القاهرة بحمل التهاني ومفاتيح الحرمين الشريفين وبعض (الآثار النّبوية)[2] أكرم السلطان وفادة الابن وأعطاه تفويضا بحكم والده على إمارة مكة والحجاز وقرأ هذا التفويض بمكة وخطب في الحرمين اسم السلطان سليم ، ويعتبر هذا التأييد نصرا سياسيا ، ومعنويا كبيرا يحرزه العثمانيون في المشرق العربي ، كما أعطاهم الحق بالظهور في شواطئ البحر الأحمر وإنقاذ المشرق من الخطر البرتغالي الزاحف من المحيط الهندي.

و/ إلحاق لبنان بالخلافة العثمانية .

خلال المواجهة العسكرية بين العثمانيين و المماليك سنة 1516 كان لبنان تحت حكم الإقطاعيين الذين كان موقفهم تقليديا ، فقد انتظروا المعركة لمن تحسم لينظموا للغالب ، و ما إن انتصر سليم الأول و دخل دمشق حتى أسرع الأمير فخر الدين المعني الأول على رأس وفد هام من الإقطاعيين ليقدموا الطاعة و الولاء للسلطان العثماني الذي كان يعرف تأثيرهم في لبنان ، و أنّ الأخطار في هذا البلد يمكن تجاوزها من خلال هؤلاء ، على اعتبار أن في لبنان تدخّل أوروبي كبير .

قبل السلطان سليم الأول و فادتهم و أبقاهم على أراضيهم الشاسعة في جبل لبنان ، و منحهم نفس الامتيازات التي كانت ممنوحة لهم في عهد المماليك ، و لم يفرض عليهم سوى ضرائب خفيفة ، و بذلك تدخل لبنان في ظل الدولة العثمانية دون حرب .

ي / الفتح العثماني لليمن .

كان حكام مدن اليمن خلل القرن 16 م أئمة يرجع نسبهم إلى الإمام زيد ، و هو الإمام الرابع الذي ينحدر من ذرية علي كرّم الله وجهه ، و كان مركزهم مدينة صنعاء وهم شيعة زيدية .

1 . رجب حرّان : الدولة العثمانية و شبه جزيرة العرب ، معهد الدراسات و البحوث العربية ، القاهرة ، ط 01 ، 1970 ، ص ، ص : 99 ، 100 .

2 . ابن إياس : المصدر السابق ، ص : 189 .

يعتبر الكثير من المؤرخين أنّ اليمن يمثّل مفتاح العلم الإسلامي من الجهة الجنوبية لإطلاله على سواحل و ممرات بحرية إستراتيجية ، و قد تعرّض مع مطلع القرن 16 م للخطر الصليبي البرتغالي ، الذي فرض عليه حصارا بحريا وحاول المماليك مجابهة ذلك الخطر بإرسال حملة عسكرية بقيادة حسين الكردي إلى اليمن لكن تلك الحملة غرقت في الصراعات الأهلية بين اليمنيين ، و سيطر المماليك على صنعاء عام 1517 م ، و دخلوا في مواجهة مباشرة ضد المعارضة الإمامية الزيدية و في تلك الظروف يسيطر العثمانيون على الشام و مصر ، فقام القائد المملوكي بإعلان ولائه للدولة العثمانية التي أمدته بقوة عسكرية .

تمكّن قائد الجيش العثماني سليمان الخادم سنة 1538 م من تحقيق انتصارات كبيرة على القوى المحلية المعرضة في اليمن ، و استولى على عدن في الجنوب وقضى على مقاومة آل طاهر ، و بعض قادة المماليك المعارضين للحكم العثماني في منطقة زبيد ، لكنه اصطدم مقاومة شرسة للأمامية الزيدية في مدينة تعز ، مما اضطر العثمانيون للصلح معهم سنة 1551 ، لكنّ ذلك الصلح لم يعمر طويلا واندلعت عدة مواجهات بين الطرفين مما اضطر الدولة العثمانية إلى إرسال حملة لاستعادة نفوذها في اليمن بقيادة سنان باشا 1568 / 1569 م [1] ، و دخل في حرب عنيفة ضد الزيدية انتهت بسيطرتهم على صنعاء وطرد الوالي العثماني سنة 1636 وإعلانهم عدم امتثالهم لأوامر الباب العالي، و لم يستطع العثمانيون فرض واليا على اليمن إلا سنة 1849م .

ن / العراق آخر المنضوين تحت راية الخلافة العثمانية .

ضمت الدولة العثمانية المناطق الشمالية من العراق مثل كردستان و ديار بكر و الموصل سنة 1514 عقب انتصارها على الصفويين في معركة جال ديران ، أما المناطق الوسطى و الجنوبية فقد ظلوا خاضعين لسيطرة الدولة الصفوية غلى سنة 1534 م ، حين قام السلطان سليمان القانوني بحملة عسكرية على العراق قضى فيها على أمراء الحدود المؤيدين للصفويين ، و تمكّن من دخول بغداد وطرد وخلّصها من الحكم الصفوي ، ولم تبق من المناطق المهمة في العراق خارجة عن حكم الدولة العثمانية سوى البصرة في الجنوب ، و التي قام حاكمها بإرسال مفتاح المدينة للسلطان سلميان

1 . الغالي غربي : المرجع السابق ، ص : 65 .

كرمز للخضوع و الولاء للدولة العثمانية ، و بذلك تدخل العراق في ظل الخلافة العثمانية .

لم تتوقف محاولات الدولة الصفوية لاسترداد نفوذهم على العراق ، و قد تمكّن الشاه عباس الصفوي من السيطرة على بغداد ، و حاول الجيش العثماني عدة مرات استرجاع المدينة و لم يفلح في ذلك مما اضطر السلطان مراد الرابع لقيادة حملة عسكرية بنفسه على بغداد سنة 1638 م ، فحاصرها ما يزيد عن الشهر و تمكّن من طرد الصفويين ، و بقي الصراع العثماني الصفوي على العراق إلى منتصف القرن 19 ، حين قضي على الأطماع الصفوية في العراق .

03 / طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي .

ما ميّز الحكم العثماني في المشرق العربي منذ بداية القرن 16 م 10 هـ كونه حكما غير مباشر، فقد استعانت السلطة العثمانية بوسائط بينها وبين رعاياها تمثلت في الأسر المحلية والشخصيات الدينية والأعيان وشيوخ القبائل[1] ، وفي المقابل فقد أطاع عموم المشرق العربي السلطان العثماني ، واعتبروا الخروج عليه إثارة للفتنة وخروجا عن إجماع الأمة ، وقد أعطى هذا الوضع الشرعي قوة للسلطان لم يحلم بمثلها حاكم [2] ، هذه السلطة التي حظي بها السلطان العثماني جعلت الكثير من الثوار لا يستطيعون تحمل تهمة الخروج عن فكرة (أهل السنة والجماعة) ، وحرصوا على الادعاء بالخروج على الولاة ، وفي نفس الوقت أظهروا الولاء للسلطان [3].

أما من حيث الإشراف السياسي والتسيير ، فقد عرفت مصر والشام خلال القرن11 هـ 17 م ، مرحلة حكم الباشاوات ، وكان تعيين الباشا bacha من طرف السلطان مباشرة وقد أخذ الباشا اسم (الوالي) ، وهو ممثل السلطان في الإقليم يتم تعيينه لمدة عام قابل التجديد وهذا ما أدى بالولاة إلى الحرص على جمع الأموال في

1 . الغالي غربي : دراسات ...، المرجع السابق ، ص : 67 .

2 . عبد الكريم غرايبة : مقدمة في تاريخ العرب الحديث ، ج 01 ، جامعة دمشق ، 1960 ، ص :49

3 . جميل بيضون ، شحادة الناطور ، علي عكاشة : تاريخ العرب الحديث ، دار النشر للتوزيع القاهرة مصر ، 1991 ، ص ، ص : 53 ، 54 .

هذه الفترة القصيرة وإغفال متطلبات الرعية في الأقاليم ،و ذلك ما سيترتب عليه اضطرابات اجتماعية وسياسية [1] وإن كان الحكم غير مطلق على كل الولاة .

يذهب المستشرق الألماني (بروكلمان) إلى أبعد من ذلك عندما يقول ، بأنه كان على باشاوات الولايات أن يعيدوا شراء مناصبهم كل سنة بالهدايا ، (وإن باشا القاهرة كان يدفع ما يزيد عن مئة ألف دينار (بندقي) سنويا ليبقى في منصبه)[2] وإلى جانب الباشا أو (الوالي) يعمل عدد من الموظفين يسمون بأركان الولاية ، منهم نائب الوالي ، الكخيا وهو مسؤول عن الأمن الدفتر دار: المسؤول عن المالية المكتوبجي : مسؤول عن تحريرات الولاية الخازن دار: وهو أمين الخزانة ، آغا بالانكشارية : وهو قائد الحامية العسكرية العثمانية ويعينه السلطان .

أ / طبيعة الحكم العثماني في مصر.

مثلت مصر ثقلا سياسيا في المشرق العربي بالنسبة للدولة العثمانية ، وحاول العثمانيون منذ القرن 10 هـ / 16 م تنظيم الحياة السياسية فيها ، فقد أصدر سليمان القانوني (قانون نامة)[3] ، الذي عمل لإبعاد السيطرة المملوكية على شؤون مصر لكن رغم الإجراءات التي اتخذها فإن العناصر المملوكية تمكنت من التسلل إلى جميع مراكز السلطة و الإدارة في مصر العثمانية خلال القرن11 هـ / 17 م وخضع الجيش أو (الأوجاق) للعنصر المملوكي تدريجيا ، وفي المقابل تراجع العنصر العثماني[4].

فقد حاول حاكمها أحمد باشا (الملقب بالخائن) . الذي كان يطمح في تولى منصب الصدر الأعظم . التمرد على الدولة العثمانية وتنصيب الخليفة العباسي محمد المتوكل من جديد لكنه فشل ليسود مصر الهدوء خلال هذا القرن[5].

---

1 . محمد بن عبد الكريم : المقري وكتابه نفح الطيب ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، (د.ت) :ص :65 انظر . جميل بيضون :المرجع السابق ، ص : 56 .

2 . كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ص ، 475 .

3 . قانون أصدره سليمان القانوني سنة 1530 ، لنزع الاقطاعات من أيدي الولاة ، وتوطيد الأمن في الأقاليم .انظر . المرجع السابق ، ص : 460 .

03- ANDRE . RAYMOND : grands villes Arabes á l' époque Ottomane , Sindbad Paris, 1985 , P : 26 .

5 . محمد بن عبد الكريم : المقري وكتابه نفح الطيب ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، (د.ت) ، ص :65 ، انظر . جميل بيضون :المرجع السابق ، ص : 56 .

إذا كانت سلطة المماليك قد انتهت مع بداية القرن 10 هـ ، 16 م في الشام والحجاز ، فقد استمر نفوذهم في مصر وسيتعاظم أكثر خلال القرن 11هـ ، 17 م لما ستؤول إليه السلطنة من ضعف ، وقد أشار الكاتب العثماني (فريد بك المحامي) إلى ذلك النفوذ بأن (البكوات) أخذت تكثر من المماليك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية في الديار المصرية [1] .

لقد صار للمماليك زعيم يعرف بشيخ البلد ، وهو ثاني شخصية في مصر بعد الباشا العثماني ، ومع بداية ضعف الدولة العثمانية تمكن المماليك من استعادة نفوذهم و أصبح بكوات (bikhaouate) أو أمراء المماليك القوة السياسية المسيطرة على مصر في القرن السابع عشر ، وتركزت السلطة المدنية والعسكرية من جديد في أيديهم وبدأ الحكم الذي وضعه العثمانيون في مصر يتصدع مع نهاية القرن السابع عشر .

ب / طبيعة الحكم ببلاد الشّام .

لم يحدث بعد ضمّ الشام في عهد سليم الأول أي تغيير في النظام الإداري الذي كان سائدا في عهد المماليك ، فقد بقيت المقاطعات الثلاث دمشق ، حلب ، طرابلس الشرق على نظامها القديم عدا أنها أصبحت ولايات عثمانية يشرف عليها اسميا وال عثماني يعيّن من قبل الباب العالي ، لكنّ السلطة الحقيقية كانت بيد المملوكي القديم الذي كان يحكم المقاطعة .

من أهم نماذج ولايات الشام ولاية دمشق التي ضمّ لها سليم الأول القدس وغزّة و صفد و أسندها إلى جانب بردي الغزالي المملوكي حاكم حلب السابق ، والذي خان سيده قونصو الغوري في معركة مرج دابق ، فكافأه سليم الأول بتنصيبه واليا لدمشق .

ظهر في النظام الإداري بالمشرق العربي لقب الباشا الذي يطلق على الوالي وكان دوره منحصرا في جمع الضرائب و الإتاوات ، و قد توالى الباشاوات على حكم الولايات ، لكن غالبيتهم لا يعمرون طويلا ، فيعزلون أو يقتلون ، و كنموذج ولاية حلب التي تتالى عليها 09 ولاة في مدة 03 سنوات . 1516 . 1518 .

1 . عمر عبد العزيز عمر : تاريخ مصر الحديث والمعاصر1517.1919 ، ط 02 ، دار المعرفة الإسكندرية 1996 ص:117

خلال القرن 17 م كانت بلاد الشام كانت مقسمة إلى أربعة أقسام إدارية أو ولايات ، (ولاية دمشق ، حلب ، صيدا أو بيروت ، و إيالة القدس الشريف) وكان لكل ولاية أو (إيالة)[1] .

وال مستقل تابع للباب العالي ، و الولايات تخضع عسكريا لسلطة قائد عثماني عام يقيم بدمشق[2] ، وعملت الدولة العثمانية على فصل هذه الولايات لأن تقاربها قد يثير لها مشاكل سياسية ، وفي بعض الأحيان اضطرتها الظروف السياسية إلى جمع هذه الولايات تحت سلطة وزير واحد .

تميزت المناطق الشمالية (الجبلية) من بلاد الشام بخضوعها غير المباشر للسلطة العثمانية ، وينطبق نفس الحكم على لبنان التي خضعت لأمراء إقطاعيين (مسلمين ومسيحيين)، أما جنوب الشام المائل للحياة البدوية ونظام العشائرالعربية فقد استعصى على الانقياد للتنظيم العثماني ، فمنحت السلطنة لشيوخها استقلالا سياسيا واقتصاديا مقابل الدعم في أوقات الحروب و تقديم الهدايا [3] .

ظهرت بعض الحركات الانفصالية في سوريا ضد الدولة العثمانية منها المحاولة الانفصالية التي قام بها بردي الغزالي بعد وفاة سليم الأول سنة 1520 م متخذا لنفسه لقب الملك الأشرف ، و صكّ النقود باسمه ، غير أن السلطان سليمان القانوني[4] أجهض تلك المحاولة ، و سيطر الانكشاريون على دمشق بعد تدمير أجزاء منها و قام

---

1 . مفهوم الولاية هي صيغة تكليف وتفويض ، محددة في الزمان والمكان ونوع المهمة ، وهي تكليف صادر عن السلطان لتولي مقاطعة كبيرة أو مجموعة مقاطعات ، وهناك ولايات أخرى منها القضائية والعسكرية والمالية انظر . وجيه كوراني : السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام مركز دراسات الوحدة العربية ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1988 ، ص ، ص : 33 ، 34 .

2 . سهيل زكّار : تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، دار التكوين للدراسات و الترجمة والنشر ، دمشق سوريا ، 2006 ، ص : 57 .

3 . ليلى الصباغ : المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي دمشق ، سوريا ، 1973 ، ص : 21 .

4 . ولد سليمان خان الأول في شعبان 900 هـ ، 27 افريل 1495 م ، وهو عاشر السلاطين العثمانيين ، يعتبر من أعظمهم بلغت في عهده الدولة العثمانية اوج ازدهارها وتوسعها ، وانتهى العصر الذهبي العثماني مع انتهاء عهد سليمان القانوني المتوفى سنة 1566 .انظر :محمد بن أبي السرور البكري : المصدر السابق : ص ، ص: 104 ، 105 ،.عد أيضا إلى فريد بك المحامي : المصدر السابق ص : 198 و ما بعدها .

السلطان القانوني بإلغاء الحكم الذاتي في الشام وتقسيمها إلى ثلاث ولايات أو باشويات (دمشق ، حلب ، طرابلس) يديرها ولاة عثمانيون[1] .

كانت بلاد الشام الأقل استقرارا سياسيا في المشرق العربي نظرا لتداخل عدة عوامل مذهبية وعرقية ، وعدم وجود سلطة إقليمية قوية تسيطر على الأوضاع كما كان الحال بالنسبة للمماليك في مصر ، ومن نماذج الثورات والاضطرابات التي عرفتها بلاد الشام خلال القرن 11 هـ / 17 م ، ثورة الأمير فخر الدين المعني[2] الذي قاد حركة استقلالية انطلاقا من لبنان و شملت فلسطين ووصلت حدود دمشق وصارت له مكانة بين أهل الشام ، فحدثت له نفسه الاستقلال بالشام و إعلان نفسه سلطانا عليها[3] .

شعر السلطان مراد الرابع (1018 . 1049 هـ / 1609 . 1640 م) بخطورة تأثير حركة الأمير فخر الدين على استقرار بلاد الشام ، فكلف والي دمشق (أحمد باشا الكوبرلي) بقمع حركة التمرد بعدما زوده بالقوة العسكرية ، وتمكن هذا الأخير من سحق التمرد سنة 1032 هـ / 1623 م ، واقتياد الأمير فخر الدين إلى اسطنبول ، ثم إعدامه مع ثلاثة من أولاده سنة 1044 هـ / 1635[4] .

هناك ثورة أخرى شكلت خطرا في الشام قام بها علي باشا جنبلاط في حلب والذي استقلّ بحكمها في العقد الأول من القرن السابع عشر لكنه فشل ، وفي النصف الثاني من هذا القرن ظهرت بعض الاضطرابات لكنها أقل خطرا من حركة الأمير فخر الدين كتمرد بعض الأمراء المعينيين والشهابيين ورفضهم دفع الضرائب ، وتم تأديبهم من طرف أمير الشام سنة1071 هـ / 1660 م وهناك أيضا حركة العصيان التي قادها (

---

1 . ابن إياس : المصدر السابق ، ص : 370 ، انظر . احمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1970 ، ص : 111 .

2 . . كان فخر الدين المعني (1003 . 1029 هـ/ 1590 . 1635 م) الشخصيات ، و أحبها للناس في تاريخ لبنان العثمانية ، سياسيا ماهرا ، عمل على قطع العلاقات مع الباب العالي ، و تأسيس دولة تسير في طريق الازدهار الاقتصادي بالاستفادة من تجارب الدول الأوروبية خاصة توسكانيا الايطالية انظر . إبراهيم خليل احمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، جامعة الموصل ، العراق ، 1976 ص : 101 .

3 . نعمان قساطلي : الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط01 1982 ، ص : 08 .

4 . نعمان قسطاني : المصدر السابق ، ص : 81 . انظر . أكثر تفصيلا عن حركة الأمير فخر الدين فليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان و فلسطين ، ج 02 ، بيروت ، 1909 ، ص : 329 و ما بعدها .

الأمير أحمد المعيني) . ابن أخ الأمير فخر الدين . في صيدا سنة 1104 هـ / 1693 م وتمكن إسماعيل باشا والي دمشق من وأد التمرد في مهده [1] .

ج / طبيعة الحكم العثماني بالحجاز .

كان الحجاز[2] أكثر مناطق المشرق العربي انقيادا للدولة العثمانية ، و الأكثر استقرارا سياسيا خلال القرن 11هـ / 17 م ، نظرا لخصوصيته الدينية وللأهمية الكبيرة التي أولاها له السلاطين العثمانيين ، فقد أبقوا على نظام الشّرافة في أيدي أسرة (بركات) منذ مطلع القرن 16 م ، والتي اعترفت بالسيادة العثمانية [3] وقدمت فروض الطاعة لسلاطينها .

منح السلاطين العثمانيون للحجاز امتيازات كثيرة كان من أبرزها الإعفاء من الضرائب الشخصية والعقارية وإعفاء سكان الحجاز من الخدمة العسكرية،وأوقفت الدولة أوقافا كثيرة على الأماكن المقدسة (منها خراج اليونان ، و أموال ضخمة من ميزانية الحكومة المصرية) ، وكانت تلك الإيرادات تصب في خزينة مستقلة بالقصر السلطاني .

إن السياسة العثمانية تجاه سكان الحجاز أكسبتهم مكانة سياسية وأخضعت لهم رقاب العامة والخاصة وجنبتهم الاضطرابات السياسية ، وقد أعطى المؤرخ الجبرتي صورة عن تلك المكانة التي حظي بها العثمانيون بقوله : (... إن الدولة العثمانية اهتمت بإقامة الشعائر الإسلامية ، والسنن المحمدية ، وتعظيم العلماء وأهل الدين ، وخدمة الحرمين الشريفين ، والتمسك بالأحكام ، و بالقوانين والشرائع ... ، و تحصّنت دولتهم وطالت مدتهم ، وهابتهم الملوك ، وانقاد لهم المالك والمملوك ...)[4] .

---

1 . عبد الكريم رافق : الهوية والانتماء في بلاد الشام في العهد العثماني، مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق ، سويا ، العدد ، 81 ،82 ، سنة 2003 ، ص : 129 .

2 . يظهر من استعراض بعض أقوال الجغرافيين المسلمين عدم اتفاقهم على حدود جغرافية واضحة المعالم للحجاز ، ولذلك تقتصر المنطقة التي يعتقد أنها من الحجاز من تبوك شمالا إلى أطراف اليمن جنوبا ، ومن ساحل البحر الأحمر غربا إلى أطراف نجد شرقا .انظر .عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية الرياض ، 1996، ص: 29 .

3 . عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ، ج01 ، مطبعة القاهرة 1980 ص : 65 .

4 . عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في تراجم الأخبار ، ج02 ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، مصر ، د . ت ، ص : 21 .

يعطي الجبرتي هذه الصورة المشرقة عن الدولة العثمانية في الحجاز ، لكن تلك الصورة كانت في العهد العثماني ، لما سلبت ألباب المسلمين بفتوحاتها في المشرق والمغرب وأوقفت الزحف الصليبي البرتغالي على المشرق ، والإسباني على المغرب الإسلامي كما أن العثمانيين أولوا سياسة مميزة للحجاز باعتبارها المرجعية الدينية لكل المسلمين وبتأثيرها تخمد الثورات أو تستعر.

إن الاستقرار الذي عرفه الحجاز في ظل (الشّرافة العثمانية)عكرته من حين لآخر صراعات بين الإشراف لتبؤ مواقع الصدارة ، أو للاحتفاظ بلقب الشريف أو السطو عليه واستنجاد الحجازيين بالباب العالي لتسوية الخلافات ورد المظالم .

يوقفنا (الجبرتي) عند نموذج من هذا الصراع في نهاية القرن 11هـ / 17 م بقوله : (.... في 1696 . 1107 هـ . سافر أناس من مكة إلى دار السلطنة و شكوا من ظلم الشريف سعد ، فعين عليه (محمد بيك) نائب جدة ، و إسماعيل باشا نائب الشام فتحاربوا معه ونزعوه ، وولّوا الشريف عبد الله بن هشام على مكة ، ثم بعد عودة الحج رجع سعد وتغلّب وطرد عبد الله بن هشام ...)[1] .

إن الأوضاع السياسية للمشرق العربي خلال القرن السابع عشر كانت أقرب إلى الاستقرار ، فالثورات والفتن . على قلتها . على نمط واحد تقريبا ، والولاة يروحون ويجيئون لا يختلف غير الاسم ، ولم يتغير نظام الحكم ، و لا وضع المجتمع العربي ، ومن ناحية ثانية فإن بلاد المشرق العربي والجزائر خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي كانت عاطفتها عربية إسلامية بعيدة عن تأثيرات الأفكار القومية الوافدة من أوروبا ، والمؤمنة بالأفكار القومية والقطرية الضيقة .

كانت السمةُ البارزة في تاريخ الولايات العربية وقتذاك أن مجتمعاتها دينيةً إسلاميةً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ ، ولم ينظر العرب للدولة العثمانية على أنها دولة أجنبية أو مستعمرة لبلادهم كما يتردد ذلك لدى بعض الباحثين في الوقت الحالي بل دولة جهد[2] .

1 . محمد قنديل البقلي : المختار من تاريخ الجبرتي ، مطابع الشعب ، القاهرة ، 1958 ، ص : 20 .

2 – LEWIS BERNARD : The Emergence of Modern Turkey , 2nd Edition London 1968 , P : 02 .

ضد مشاريع[1] الغزاة الصليبيين ، وظلت هذه الفكرة السياسية الدينية مسيطرة على أذهان الغالبية العظمى من الشعب العربي ، ولم تتدخل الدولة في شؤون الحكم إلا في نطاق ضئيل فاعتبرت نفسها مسؤولة عن حماية الولايات العربية وتوفير الأمن فيها [2] .

05 / الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني .

أ / الأوضاع الاقتصادية .

01 / التجارة : انتعشت التجارة بالمشرق العربي خلال العهد العثماني ، و يعود ذلك أساسا لطبيعة الحكم العثماني الذي ألغي القيود المعرقلة للتجارية بين البلاد العربية التي انضوت تحت ظل الخلافة العثمانية ، و نتج عن ذلك استمرار التبادل الاقتصادي بين المناطق العربية ، وتطوّر وتيرة العلاقات الاجتماعية و الحضارية بين البلدان العربية و الإسلامية[3].

كانت سياسة الباب العالي في الميدان التجاري ثابتة ، بتقديم كل المساعدات للعاملين في التجارة ، و عملت على دخول و خروج الأموال التجارية و تحتكرها قدر الإمكان ، و تحاشت الضرائب العالية التي تعيق حركة التجارة و تعوق دخول و خروج السلع[4] .

اهتمت السلطة المركزية بالطرق التجارية الإستراتيجية وخفضت الرسوم الجمركية ومنحت امتيازات لتجار التركيين فازدهرت عدة مدن مثل دمشق- بغداد- القاهرة- طرابلس- دمياط، وظهرت بها أسواق متخصصة وانتظم التجار في طوائف (بائعي الأقمشة- البهارات...) وترأس كل سوق محلي شيخا وقد توافد على البلاد العربية

1 . من المشاريع الخطيرة اعتزام البرتغاليين دخول البحر الأحمر ، واجتياح الحجاز بالزحف على مكة المكرمة ، واقتحام المسجد الحرام، وهدم الكعبة المشرَّفة، ثم الزحف منها على المدينة المنورة؛ لنَبْش قبر الرسول ﷺ - ثم الزحف إلى بيت المقدس، والاستيلاء على المسجد الأقصى وبذلك تقع هذه المساجد الثلاثة في أيدي البرتغاليين . انظر. عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص : 362 .

2 . عبد الرحمن الجبرتي : المصدر السابق ، ج03 ، ص ، ص 88 ، 107.

3 . ليلي الصباغ : الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث : المجلة التاريخية المغربية ، العددان : 07 / 08 ، تونس ، 1977 ، ص : 78 .

4 . يلماز أوزتونا : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص : 592 .

أوربيون في إطار الامتيازات التجارية التي منحها "سليمان القانوني" لفرنسا في عهد فرانسوا لأول، كما ظهرت شركات تجارية فرعية منها فرع الغرفة التجارية بمرسيليا.

ومن البضائع المصدرة العربية البن (اليمن) البخور والعقاقير وغيرها ، أما المستوردة من أوربا فهي الحديد- الخشب- الأسلحة- الأواني الزجاجية ومن أهم المسالك التجارية الكبرى بعضها برية المغرب العربي مصر- الحجاز، بلاد الشام مصر، شبه الجزيرة العربية، باقي البلدان العربية، بغداد، دمشق، أما البحرية فتتم عبر الموانئ العربية المتوسطية أو على البحر الأحمر أو على الخليج العربي.

هناك أسباب كثيرة أدت إلى ازدهار الحركة التجارية بالمشرق العربي خلال العهد العثماني من أبرزها :

. عناية الدولة العثمانية بالطرق التجارية الإستراتيجية من خلال بناء الخانات للقوافل التجارية على جوانب الطرق ، و التي توفر المأوى و الأكل للقوافل التجارية .

. توفير الحماية العسكرية للممرات التجارية البرية و البحرية من خلال بناء القلاع والحصون لحماية طرق المواصلات من الهجمات المباغتة لقطاع الطرق .

. تخفيض الضرائب و الرسوم الجمركية و منح التسهيلات التجارية للتجار العرب والأوربيين .

. رعاية العثمانيين للتقاليد الإسلامية ، من خلال تأمين موسم الحج حيث تزدهر العمليات التجارية ، و إعفاء النشاطات التجارية الصغيرة في هذا الموسم من الرسوم ، و إعفاء بضائع الحجاز من الضرائب و عدم خضوعها للتفتيش .

لقد كان التاجر بالمشرق العربي خلال العهد العثماني يجد أينما حل أو ارتحل العون الصادق في رعايته ، و مدّ يد المساعدة لشخصه ، و يتنقل في مجال يظله الدين الإسلامي ، ففي كل الحواضر الإسلامية . البعيدة عن الحواجز السياسية المصطنعة . من مصر إلى الحجاز أو الشام والعراق ، كان يجد الجامع الذي يؤدي فيه فرائض الصلاة ، و الزاوية التي تؤويه وتطعمه من جوع ، و(المارستان) الذي يعالجه إذا ألمّ به مرض[1] .

1 . السعيد لمليح : التواصل الفكري و الروحي بين المغرب الأقصى و المشرق الإسلاميين (مصر والحجاز) : أسسه ومظاهره ، من بداية القرن السابع إلى أواخر القرن الثامن الهجريين ، المجمع الثقافي ابوظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2005 ، ص : 124 ، انظر . أغناطيوس كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب ، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط 01 ، 1987 ص ، ص : 21 ، 22 .

أعاد العثمانيون الحركية التجارية للمشرق العربي منذ بداية القرن 16 ، بعدما عانت من الركود نتيجة للتحرشات البرتغالية ، اكتشاف طريق الرجاء الصالح و ازدهرت التجارة الداخلية في كل البلدان المشرقية و ازدهرت المدن التجارية مثل دمشق و حلب و بغداد و القاهرة و طرابلس الشرق[1] .

ملاحظة: كان موسم الحج فرصة لنشاط تجاري. نشطت المبادلات التجارية البينية ما بين بلاد الشام ومصر فاستوردت هذه الأخيرة مواد خام وزيت الزيتون والتين والشمع بينما سوريا استوردت القمح وبعض المنسوجات والسكر والجلود.

02 / الصناعة .

الصناعة في المجتمعات العربية الإسلامية تميزت بنظام الطوائف أو الحرف وبعد انضمام البلاد العربية للدولة العثمانية بقيت محافظة على هذا النظام الذي تعود نشأته إلى القرن الثالث هجري ، وهو عبارة عن هيئات مستقلة ذات تنظيم خاص يضم أصحاب الحرفة الواحدة ، وهذا النظام يعتبر تطورا تاريخي لنظام الفتوة وهو عبارة عن تنظيمات اجتماعية شعبية ضمت أصحاب الصنائع في المدن العربية ويمثل نظام الداخلي للطوائف الحرفية في قانون خاص لكل نوع من الأصناف يعرف بالدستور تتعلق أحكامه بالقضايا المالية كتحديد الأجور .

كانت كل صناعة تتركز في حي كحي النحاسين وتميزت الصناعة بدرجات : المبتدئ ، الصاع المعلم ويقود كل طائفة شيخ يعرف بالكاخية ومن مهامه تمثيل الطائفة لدى السلطات ويدافع عن مصالحهم ويساعد في جمع الضرائب ومحافظة على النظام الداخلي[2] .

أما الطوائف غير مسلمة قائدها يعرف بالخامات واستمرت هذه السياسة حتى القرن التاسع عشر حينها بنى رجال الإصلاح في الدولة العثمانية الأفكار الليبرالية الأوربية وتحرر اقتصاد الشرق من قيود الأصناف بسبب انتشار السلع الأوربية[3] .

---

1 . للمزيد عن حركة التجارة بالمشرق العربي عد إلى : عبد الرحيم عبد الرحمن : نشوء الرأسمالية المصرية خلال العهد العثماني 1517 . 1788 ، و أثرها على الحياة الاقتصادية من خلال وثائق المحاكم الشرعية منشورات مركز الدراسات و البحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني . زغوان ، 1986 .

2 . الغالي الغربي : المرجع السابق : ص : 106 .

3 . خليل انالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة محمد حسين صادق ، دار المدار الإسلامي ، ط 01 ، ليبيا ، 2002 ، ص : 223 .

من ايجابيات نظام الطوائف على الصناعة .

. الحفاظ عن النشاط الصناعي التقليدي وأحياء بعض الصناعات القديمة وذلك بالحفاظ على طوائف الحرف وعمليات الصناعة رغم تطور الأساليب وظهور الآلات الحديثة عند الأجانب وهذا أدى إلى ارتفاع تكاليف و أسعار المنتوجات الصناعية في الولايات العربية [1] .

. المحافظة على مستوى الحرف و المنافسات و خدمة أهداف المجتمع وذلك بتامين احتياجات أفراد الطائفة ، كما كان لها دور فعال في وظهور انسجام بين الأفراد وبعدهم عن حركات التمرد والعصيان وتوفير الحماية .

من سلبيات نظام الطوائف على الصناعة العربية .

. وجود بعض القوانين التي تمنع صاحب الصنعة أن يصنع أو يبيع شيئا خارج النطاق المسموح به للطائفة ، وعدم التدخل أو تغير طرق القائمة في طائفة أو يعاقب صاحبه ، وتدخلا للدولة العثمانية في تحديد السعر وكانت هناك رقابة صارمة وتدخل في شؤون الحرفين ولا يسمح للماهرين فتح الدكاكين أو ورشة إلا إذا تحول إلى المعلم [2] .

ومن أهم المصنوعات الرائجة آنذاك المنسوجات القطنية الصوفية الحريرية (العراق- سوريا- مصر) وصناعة زيت الزيتون والنقش على الخشب والمعادن ، وقد تدفقت على البلاد العربية عدة بضائع أوربية في القرن 17م بسبب الأمن في البحر المتوسط وتوفر وسائل النقل البحري وكثرة المعاهدات التجارية وتخفيض الرسوم على الواردات، ومع مطلع القرن 19م بدأت الصناعة العربية التقليدية تتراجع بسبب نجاح الثورة الصناعية في أوربا.

*** تأثير الصناعة الأوروبية على المنتوجات العربية .**

إحياء عدة صناعات كنسيج الحرير وعمل الأسلاك الذهب والفضة الدباغة وصناعة الأحذية والأشغال الحديدية ومن أهم المصنوعات الرائجة في الولايات العربية المنسوجات القطنية والصوفية الحريرية بلاد الشام ومصر ظهور صناعة الزيت وصناعة الزيتون والصابون وصناعة الخشب والمعادن ونقشها وصناعة المنسوجات

1. الغالي الغربي : المرجع السابق : ص : 107 .

2. عدنان البيطار : الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ، دار هومة ، الجزائر ، ط 01 ، 2010 ، ص : 90 .

كانت أحسن وتلبي الاحتياجات في الأسواق ويصدر بعضها ولكن بسبب الأساليب التقليدية والبداية وعدم تطور قوى الإنتاج أدى إلى قلة الإنتاج والمردود مقارنة بالمنافسة الأوروبية التي اعتمدت على الميكنة والتقنيات الحديثة [1].

امتد الطابع الصناعي التقليدي إلى نهاية القرن 18 حيث كانت الصناعة فردية يغلب عليها الطابع التقليدي ، و تستغل أدوات بسيطة وبدائية ، و الإنتاج الصناعي عادة ما كان موجه للاكتفاء الداني العائلي .

في نهاية هذا القرن و بداية القرن 19 تدفقت البضائع المصنوعة في أوروبا مثل النسيج و الأقمشة من معامل Manchester وتدفق الأدوات والمواد الكمالية الباريسية من ألبسة وغيرها خلقت فوضى واختلال في الحياة الاقتصادية العربية ،ذلك لان هذه المواد كانت جديدة على الناس ووجدوا فيها ضالتهم وشيء من الشعور بالمتعة فتهافتوا عليها تهافتا كبيرا وصدوا تماما عند الصناعة التقليدية وما تنتجه من مواد سواء ألبسة أو مواد غذائية أو غيرها وهذه الفوضى التي خلفتها تدفقات المواد الأوروبية أثرت مباشرة على الصناعات اليدوية في القرى و الأرياف العربية فتضاءلت هذه الصناعات وساير تضاؤلها هجوم أصحابها نحو المدن الشيء الذي جعل من هذه المدن تكبر شيئا فشيئا إلى إن أصبحت تشبه المدن الأوروبية الكبرى ، وهو ما أثر على الناحية الاجتماعية ، و ساهم في تفكك بعض القيم والثوابت الاجتماعية العربية .

03 / الزراعة .

تميزت الأراضي الزراعة العربية بمقوماتها الطبيعية (وفرة السهول- الهلال الخصيب- الفرات- النيل وخصوبتها وجريان الوديان والأنهار.....) واستغلت السلطة العثمانية الأراضي العربية التي تنوعت بين أراضي أميرية (حكومية) وأخرى موقوفة وثالثة مهملة لذلك استغلت السلطة العثمانية الأراضي العربية بالطرق التالية أهمها:

- نظام الإقطاع الزراعي: كان سائدا عند الأوربيين منذ العصور الوسطى بدأ العثمانيون في تطبيقه منذ القرن 14م في بلادهم أما في البلاد العربية فبدأ منذ القرن 16م إذا كان السلطان العثماني يمنح صاحب الإقطاع حق جباية الضرائب على

1. الغالي الغربي : المرجع السابق : ص : 110 .

الأراضي مقابل أداء الخدمة العسكرية مما أثقل كاهل الأهالي ، و كان هذا النظام في الأساس يهدف إلى و ضع آلية للاستفادة من مداخيل المقاطعات[1] .

تنوع الإقطاع في البلاد العربية بخمسة أشكال هي:

- التيمار: نوع من الإقطاع الزراعي يوزع على فرسان الصبايحية بمساحات متباينة وطبق هذا في حلب وطرابلس ودمشق كما يستفاد منه عموم المحاربين[2] .
- الزعامات: إقطاع يمنح لضباط الكبار.
- إقطاع خاص: يمنح لبعض أفراد الأسرة العثمانية وكبار الموظفين والولاة.
- الإقطاع الخاص الهمايوني: يمنحه السلطان لبعض أفراد الأسرة الضيقة من أل عثمان (الأميرات- السيدات- الأمراء...).
- الإقطاع الطائفي: يمنحه السلطان لبعض الطوائف المذهبية (الشيعة- الخوارج....) أو العرقية.

كان هدف الدولة العثمانية من تنظيم القطاع الزراعي خدمة المجال العسكري الذي قامت عليه الدولة بالأساس و تأمين مواد العيش لها ، و للموظفين المدنيين، لذلك قام نظام الأراضي في الدولة العثمانية على ثلاث مقومات :

. الدولة وهي صاحبة جميع الأراضي الأميري، وهي صاحبة الحق في الأعشار والضرائب و الرسوم المفروضة على جميع الأملاك الأراضي الزراعية [3] .

. الإقطاعيون ، منحت الدولة كبار موظفيها أمثال الصدر الأعظم و الباشاوات وحكام الولايات و ألوية الجنود القطاعات زراعية ، و يطلب من أصحاب الإقطاع الزراعي أن يكونوا دائما على استعداد للمساهمة في جهود الدولة خاصة في الحرب بتجهيزه الجنود و الخيالة بما يتناسب ومساحة أقطاعاته الزراعية .

. القطاع الحكومي ، كان مقتصرا على العسكريين ثم دخلته الأطراف المدنية وصار بإمكان أصحاب الأموال أن يكونوا أصحاب إقطاعات زراعية ، وكان غالبية الملتزمين الزراعيين من أعيان العشائر و رؤساء الطوائف الدينية [1].

1. يحي جلال : المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث ، دار المعارف ، مصر ، 1965 ، ص : 54 .

2. عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ، ج 01 ، مطبعة جامعة القاهرة ، ط 01 ، 1980ص : 131 .

3. الإدارة العثمانية في ولاية سوريا .....ص : 222 .

تميزت الزراعة في العهد العثماني عموما بكونها زراعة اكتفائية (موجهة للاكتفاء الذاتي)و يرجع ذلك أساسا إلى قلّة عدد السكان في الأرياف و المدن و إلى العقلية السائدة والمتمثلة في الاكتفاء بالقليل أو القناعة بالقليل .

رغم قلة المحاصيل فقد عانت الزراعة من نظام الالتزام[2] ، و يعرّف نظام الالتزام بأنه تعهد الدولة لشخص ذا نفوذ بجباية الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية و المقررة على الفلاحين في قرية لمدة زمنية معينة ، كانت في بداية الأمر محددة بسنة ، و كان على الشخص الذي تمنحه الدولة هذا الالتزام أن يدفع مبلغا ماليا يساوي ضريبة سنة واحدة من الضرائب المقررة على المنطقة التي يمارس فيها اختصاصه ، و تسمى هذه المنطقة دائرة الالتزام ، و كان منصب الالتزام يرسو على من يدفع أكبر مبلغ مالي من المزايدين الذين يحضرون المزاد العلني ، وقد طبق هذا النظام في البداية بمصر ثم عمم على البلاد العربية [3] .

بعد أن يتحصل الملتزم على هذا الالتزام القانوني يعمل طوال السنة على استرجاع ما دفع من أموال و تحقيق الأرباع و لو على حساب الفلاحين البسطاء وكانت الزراعة و المزارعون من الإقطاعيين المسيطرون على الأراضي والأسواق وعلى أسعار المواد الزراعية و تكاد الدولة تكون غائبة في مجال مراقبة الأسعار و التحكم في الأسواق ، و في الكثير من الأحيان يكتفي الجباة الممثلين للدولة بالحصول عن الضرائب دون مراعاة أوضاع الفلاحين و مصائر الإنتاج الزراعي مما دفع الكثير من الفلاحين إلى مغادرة الأرياف و النزوح نحو المدن .

ب/ الأوضاع الاجتماعية .

اتسم العثمانيون بعدم أتباعهم لسياسة هضم القوميات، الأمر الذي ساعد على نمو العصبات الحاكمة وحفظ للقوميات طابعها القومي، فقد وضع السلاطين نظامًا

1 . أحمد عزت عبد الكريم : التقسيم الإداري لسوريا في العهد العثماني ، حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس ، المجلد 01 ، ص : 134 .

2 .لمعرفة المزيد عن نظام الالتزام ينظر : عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج 01 ، مطبعة جامعة القاهرة ، 1988 ، ص : 148 و ما بعدها .

3 .الغالي الغربي : المرجع السابق : ص : 115 .

خاصًا عُرف بنظام الملل، قسموا بمقتضاه الشعوب الخاضعة لهم، ووضعوا كل ملّة أو عصبية تحت حكم زعيم لها هو المسؤول عنها أمام السلطان[1].

يقول بعض المؤرخين أن هذه السياسة هي أحد الأسباب الرئيسية التي أدّت لضعف الدولة وانفصال بعض القوميات عنها في وقت لاحق، بينما يقول آخرون أن التعددية هي ما كان وراء دوام استمرار الدولة لسنين طويلة [2] ، منح السلاطين بعض الأقليات العرقية والدينية حق الإقامة في ربوع الدولة العثمانية وأعطوهم الأمان وسمحوا لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحريّة لقاء الجزية، كما فعل السلطان محمد الفاتح مع اليهود والروم عندما دعاهم ليسكنوا القسطنطينية .

طُبعت بعض المدن الكبرى في الدولة العثمانية بطابع ثقافي واجتماعي مختلط كما القسطنطينية، كونها كانت إما مرافئ تجارية مهمة أو عواصم ولايات، أو ذات أهمية دينية، ومن هذه المدن المشرقية التي ما زالت تحتفظ بطابع عثماني: دمشق بغداد، بيروت، مكة، القدس، فلا يزال المرء يُشاهد في هذه المدن عدد من المعالم المعمارية العثمانية الأثرية والحديثة المبنية على هذا الطراز، كما أن العديد من سكان هذه المدن نزح إليها من مناطق أخرى خلال العهد العثماني .

في بداية القرن 19 نلاحظ بروز طبقة جديدة في المجتمعات العربية تتكون من التجار العصريين الذين أصبحوا يمارسون نشاطهم التجاري وفقا لقواعد اقتصادية حديثة وذلك بإنشاء الشركات والجمعيات التجارية المتوسطة والكبيرة ،والمحامين والأطباء المتخرجين من الجامعات الأوربية خاصة ، و الأساتذة والمعلمين وأصحاب الحرف الحرة ، وقد ناضلت هذه الطبقة نضالا مريرا وذلك لاكتساب مكانة في المجتمع ، فاحتلت المكانة الوسطى بين الارستقراطيين والأغنياء الذين عادة ما يتكونون من رجال الكنيسة و الإقطاعيين وأصحاب الأراضي والأملاك وبين الطبقة الدنيا من العمال .

1 . شفيق جحا، منير البعلبكي : المصور في التاريخ، ج 06 ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ، 1989 ، ص : 150 .

2 . محمد سهيل طقّوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص ، ص : 248 249 .

عموما فقد شهد المجتمع العربي تغيرا جذريا مس بالأخص الوحدة الرئيسية للمجتمع وهي العائلة ، وقديما كان الولاء للعائلة و القبيلة والذين وأشياء أخرى مقدسة عند العرب لا يحد احد عنها .

فأمور العائلة كان المتصرف فيها عادة هو اكبر الأعضاء سنا ، وكثيرا ما يكون الجد ، فتدبير الزواج مثلا يتم بين الجد و أبنائه وبناته ، وكثيرا ما كان الزواج يتم بين أفراد العائلة فالقبيلة ، لا تخرج عن هاذين النطاقين ، ولكن تأثيرات المدنية الغربية وغيرها خلال القرن 19 طغت على المجتمع العربي وفي القرن الذي يليه فنجد أن الروابط العائلية بدأت تتفكك في الكثير من الأحيان ، حيث نلاحظ أن تكوين العائلة أصبح يقتصر على الزوج والزوجة ولأولاد [1].

من العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية الولاء لدين الإباء و الأجداد فكانت كثير من الظواهر تفسر من الماضي وحوادثه كما أنها تعلل الحاضر ووقائعه في عالم الطبيعة والإنسان ، وكان التفسير السائد يعتمد على العناية اللاهية وتدبيرها لكل شيء ، وهو ما بقي سائدا في المجتمع العربي إلى اليوم على الرغم من أن كثير من المثقفين الذين أخذوا ثقافة غربية حاولوا تعليل وتفسير بعض الظواهر بوجهة نظرة علمانية وعقلانية في بعض الأحيان ،فمنهم من نفى تدخل القدر في حياة المجتمعات وان ما يصيبها من وهن وركود راجع إلى سباتها العميق الذي خيم عليها.

عموما فقد ساد نوعا من الجدل بين المحافظين والشبان الذين تثقفوا ثقافة عصرية ليس في الميدان الروحي فقط بل في ميادين أخرى تتعلق بالأمة في خضم أحداث جسام كان المجتمع العربي يعيشها آنذاك ، و نلاحظ أن القرن 20 قد أتى بقيم ومثل اجتماعية جديدة سادة المجتمعات العربية أثرت فيها تأثيرا كبيرا ومباشرا ، وذلك بفعل تطور الميدان الصناعي والميدان التربوية على خصوص وكل هذا التأثيرات سنراها تفعل فعلها في المجتمعات العربية وتوجهها في ميادين عدة .

ج / الأوضاع الفكرية .

قبل التفصيل في الحياة الفكرية خصوصا و الثقافية عموما في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني نشير إلى أن المدرسة التاريخية الغربية حاولت أن تعطي صورة قاتمة للأوضاع الفكرية و الثقافية العربية خلال هذا العهد ، كونها فترة جمود

1. عمّار هلال : محاضرات في تاريخ المشرق العربي ، 1991 .

وركود وضللنا نحن نكرر تلك الأوصاف التي رسمها لنا الأوربيون وسار على نهجهم المؤرخون والمفكرون القوميون المسيحيون في مصر والشام وشاركهم بعض المؤرخين المسلمين في الهجوم على الحكم العثماني لمساندته الاتجاه الصوفي .

إن الدارس للتاريخ العربي الإسلامي يلاحظ تركيز اهتمام الكثير من المؤرخين والغربيين على الحياة السياسية خلال العهد العثماني ، وأغفلت في المقابل الحياة الفكرية والثقافية ، لكن الغرب بترسانة مؤرخيه ، صوروا لنا ذلك المشهد الثقافي على أنه خراب و أطلال ومن أبرز رواد تلك المدرسة الغربية (الدكتور شو .SHAW) ، و المؤرخ (شيلير Shaler) ، والمستشرق الألماني بروكلمان و من سار على نهجهم دعاة التغريب الذين ازدروا كل ما هو عربي و إسلامي .

إن العيب ليس في دعاة المدرسة الغربية ، لأن غالبيتهم يكتبون وفق مخططات تخدم دولهم ، وتمهد لهم طريق الاستيلاء السياسي و الثقافي ، من خلال التأكيد أن فترة ما قبل الاستعمار كانت خرابا ثقافيا وفكريا ، و جاء الغرب برسالته الحضارية ، و لتحل الحضارة مكان الفراغ ، وإن كنّا لا ننكر تراجع الثقافة العربية الإسلامية ، خلال هذا القرن وغيره من القرون العثمانية ، فإن ذلك التراجع مس العلوم الخاضعة للتجربة والعلوم المساعدة لها كالرياضيات و الكيمياء ، أما العلوم الشرعية بكل تفرعاتها و علوم اللغة فكانت واسعة الانتشار ، و إن كان العثمانيون لم يعملوا على تطويرها إلا أنهم لم يعيقوا أي حركة فكرية أو ثقافية حرة قامت في البلاد العربية .

إن العيب يكمن في اعتماد الكثير من مؤرخينا على ما كتبته المصادر الغربية عن حياتنا الفكرية دون تمحيص و لا مقارنة و لا تحليل ، و إهمال المصادر العربية والوطنية ، خاصة المخطوطة منها ، و التي ظلّت تعاني الضياع و اللامبالاة في كبريات المكتبات و دور الأرشيف العالمية ، كمحفوظات ما وراء البحار بايكس آن بروفانس و الأرشيف الوطني الفرنسي ، و المكتبة البريطانية بلندن ، وخزائن الأسكوريال الإسبانية و مكتبة الفاتيكان ، ودور أرشيفات استانبول

ارتكزت الحياة الفكرية و التعليمية في المشرق العربي على علوم الشريعة التي نظمت أحوال الناس اليومية ، وكان التعليم قائما في المساجد والمدارس والمدن ويكاد يقتصر على أوجه دينية مثل القرآن الكريم والحديث والمتون والفقه و علوم العقيدة و الحساب وقليل من الفلك .

هناك منارات علمية حافظت على التراث الإسلامي في ذلك القرن وفي غيره من القرون الإسلامية ، وتمثلت في الجامع الأزهر بمصر ،و المسجد الأموي بالشام والحرمين الشريفين في الحجاز ، وفي تلك المراكز العلمية الإسلامية كان الاهتمام منصبا على التراث الذي خلفه الأسلاف وفي ذلك يقول بروكلمان : (... كان الهدف التمكّن إلى أقصى حد مستطاع من المادة التي أنتجتها الأجيال السالفة ، وكان أعظم القدر ، والاعتبار يخلع على التفقه في الدين و الشّرع الإسلامي ...)[1] .

من خلال تتبعنا للحياة الثقافية في المشرق العربي وجدنا قدرا من الأدب والتاريخ ، وبعضا من الفنون الأدبية والعلمية الأخرى جديرة بان تعرف وينوّه بها في زمن صارت فيه أعين السخط عن الحكم العثماني لا تبدى إلا المساوئ فبعض المؤرخين يرون أن العثمانيين قد بلغوا دور العظمة السياسية لما فتحوا مصر وقسما كبيرا من المشرق العربي ، لكن هذه العظمة لم تكن في غير الحرب والسياسة وأنهم عجزوا عن إبداع حضارة[2] ، لأنه من الأسس التي تستند إليها النهضة الحضارية انتشار الثقافات والعلوم بل وتطوير تلك الفنون ، و إذا كانت الدولة العثمانية لم تكترث بالمجال الثقافي في الوطن العربي ، فالمؤكد أنها لم تتدخل في شؤون العرب ونظمهم الاجتماعية ماداموا باقين على ولائهم للسلطان .

لم يقصد بالحياة الفكرية و العلمية في المشرق العربي العلوم العقلية الحديثة . والتي نهضت بأوروبا و أدخلتها غمار الثورة الصناعية .بل قصد ت به العلوم الشرعية و من هذا المنظور فإن الدراسات العلمية في المشرق العربي اعتمدت على المتون والكتب التراثية ، وانعدم الابتكار العلمي ، وأصبح طلاب العلم في الكثير من الأوقات يعتمدون على الاستذكار والحفظ ، و أقصى ما يقوم به الواحد منهم أن يكتب شرحا لمتن أو يضيف حاشية على شرح ، حتى عرف ذلك العصر بعصر الشروح والحواشي ووصل الأدب إلى أحط أدواره وندر النبوغ الفكري وصارت الكتابات تعج بالجدل العقيم[3] .

1 .كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ج 03 ، ص : 105 .

2 . غوستان لوبان : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر 1956 ، ص : 587 . ، انظر. محمد بن عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص : 76

3 . جمال الدين الشيال : الحركات الإصلاحية ومركز الثقافة في المشرق الإسلامي الحديث ، ج 02 (مصر الشام) مكتبة الثقافة الدينية بيروت ، 2001 ، ص : 19 .

تجدر الإشارة إلى إشكالية تاريخية ، مفادها أن معظم المصادر التي درست التاريخ العثماني . إن لم نقل كلها . ركزت بحثها التاريخي عما يتعلق بالملوك والسلاطين وأيامهم وحروبهم ودسائس بلاطاتهم و أحيانا على عظمتهم ، وكل ذلك على حساب التاريخ الحضاري للشعوب الإسلامية[1] والذي يعنى بالدرجة الأولى بالإنتاج الفكري لتلك الشعوب ، الذي بقي مهملا ولا نعرف عنه إلا النزر اليسير .

من أبرز مؤرخين الذين كتبوا عن الدولة العثمانية : البكري صاحب المنح الربانية الذي لم يشر إلى أي إنتاج فكري أو أدبي بل أرّخ للملوك والسلاطين وصراعاتهم مع خصومهم ، وذلك عين الغمط لتاريخ الشعوب والأمم فروح ذلك التاريخ هو النسيج الحضاري الذي أنتجته تلك الأمم ، وخاصة الحضارة الإسلامية التي غالبا ما كان إنتاج علمائها الفكري مستقلا عن الصراعات السياسية .

تأثّر الكتّاب و المؤرخون خلال العهد العثماني عموما بمفهوم الانحطاط العثماني الذي روجت له الكتابات التاريخية الأوروبية ، و قد وقع الكثير من المؤرخين والمثقفين العرب تحت تأثيره ، ويستوجب اليوم على الباحث والمؤرخ العربي الإقبال على تراثه الفكري العثماني ، وإعادة قراءة أدبياته وعدم الاستمرار في النهج السابق القائم على الرفض[2] والتقليل من قيمة مخزون الإنتاج الفكري والثقافي العربي خلال الحقبة العثمانية .

لإعطاء صورة عن الحياة الفكرية و التعليمية في المشرق العربي خلال العهد العثماني نأخذ ثلاثة نماذج مهمة من المشرق العربي و هي مصر ، الشام و الحجاز

01 / الأوضاع الفكرية بمصر.

يعتبر الجامع الأزهر بالنسبة لمصر أكبر المعاهد العلمية لما له من سمعة في العالم الإسلامي ، و أصبحت مساجد القاهرة ومدارسها الأخرى كأنها فروع له حيث يتولى التدريس بها شيوخ الأزهر[3] ، ومن تلك المدارس : مدرسة الإسكندرية رشيد ، دمياط

1 . منعم مزاوي : الحياة الفكرية في العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر : 1700 . 1800 ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة الثانية ، العدد 01 ، جانفي 1980 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ص : 106 .

2 . أسامة عانوتي : الحركة الأدبية في بلاد الشام ، منشورات الجامعة اللبنانية ، 1970 ، (المقدمة)

3 . الحسين قصي : موسوعة الحضارة العربية ، العصر العثماني والمملوكي ، دار البحار بيروت دار ومكتبة الهلال، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 2004 ، ص : 07 ، انظر كذلك . نوفل ميشال : العرب و الأتراك مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، 1993 ، ص : 45 .

دسوق ، المحلة ، المنصورة ، طنطا ، و الوجه البحري، ويرى الكثير من المؤرخين أن الدراسة في هذه المدارس لم تعتن إلا بالعلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وعروض ومنطق ، وعلوم شرعية ومبادئ الحساب ، ورغم غزارة الإنتاج لدى الكثير من الشيوخ والعلماء إلا أنها خلت من الابتكار .

كان أقصى ما يفعله الواحد منهم أن يكتب شرحا لمتن أو يضيف حاشية على شرح، فقد عمدوا إلى مصنفات السلف وشرحوها ثم عمدوا إلى الشرح فشرحوه وسموا ذلك حاشية [1] ، ومع ذلك فقد اعتلى الجامع الأزهر[2] الصدارة في العالم الإسلامي خلال العهد العثماني ، و وفد عليه طلاب العلم من المشرق والمغرب و إن كانت مكانته العلمية قد تراجعت قليلا عمّا سبق من العصور حسب ما أشار جومييه [3] وعرف الطلاّب الوافدين على الأزهر بالمجاورين ، و نفس المصطلح يطلق على المقيمين بجوار الحرمين .

كان للمغاربة دور علمي بارز في الأزهر ، ولهم رواق يسمى رواق المغاربة [4] وقد درّس به الشيوخ الجزائريون المهاجرون من أمثال الشيخ المقّري الذي التف حوله طلاب العلم ولقنهم العقائد وأملى عليهم الحديث ، والشيخ يحي الشاوي الذي تولى الإفتاء على المذهب المالكي وتصدّر للتدريس في الأزهر [5] .

---

1 . محمد عبد المنعم خفاجي : الأزهر في ألف سنة ، ج 01 ، عالم المكتب ، بيروت ، 1993 ، ص 117

2 . جامع وجامعة بالقاهرة بناه جوهر الصقلي بعد عام من دخول الفاطميين إلى مصر ، خلال إنشاء مدينة القاهرة 359 . 361 هـ / 970 . 972 م ، سمي بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء (ض) . انظر. ليلى الصبّاغ : من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ، محمد الأمين المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط01 1986 ، ص :61 .

3 . جومييه ،JOMIER. : الجامع الأزهر مسجد وجامعة (دائرة المعارف الإسلامية) ، ترجمة : أحمد الشناوي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يوشي ، بيروت ، دار المعرفة ، القاهرة ، دار الشعب ، ج3 ص ص : 183 ، 185 .

4 . رواق المغاربة من أقدم الأروقة بالأزهر ، كان زاخرا بالمصادر ، مثّل مؤسسة ثقافية واجتماعية للمغاربة أوقفت له العقارات ، لخدمة الطلبة المغاربة المجاورين ، توكل إدارته إلى أحد العلماء المغاربة الذي يعرف بشيخ الرواق . انظر . عبد الرحيم عبد الرحمن : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 . 1798) ، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص ، ص : 99 ،101.

5 . مصطفى غماري : المحاكمات بين أبي حيان و ابن عطية و الزمخشري للشيخ يحي الشاوي ، أطروحة دكتوراه ، اشراف الدكتور ، زبير سعدي ، جامعة الجزائر ، 1998 ، ص : 22 .

أما في مجال العلوم التجريبية فقد تأخرت مصر هذا العهد ، رغم أنه في أوائل القرن الحادي عشر كانت لا تزال بقايا العلوم الطبية التي عرفها المسلمون في عصورهم المزدهرة مع ما شابها من الخرافات والسحر ، و ألّفت بعض الرسائل والكتب في مجال الطب ، كما عرف نوع جديد من الاستطباب في مصر بالطب النبوي اعتمادا على الإشارات الطبية في الأحاديث النبوية ، أما العلوم الأخرى مثل الفلسفة والرياضيات والفلك ، وغيرها من العلوم فقد أصابها ما أصاب الطب من الجمود العلمي ، و انصرف الناس عن دراسة العلوم العقلية والرياضية ، ووجد في الأزهر من ينادي بتحريمها ، وتوقفت حركة التفكير العلمي[1] كما يرى(محمد الخفاجي)

لقد وصف الرحّالة الأوربيون الحالة العلمية بمصر في نهاية القرن 11 هـ / 17 م بالتخلف والجهل ، وحتى في الحرف اليدوية يندر أن تجد في القاهرة من يصلح ساعة [2] ، وإن كان هذا الحكم من الرحالة الأوروبيين خرجي المدرسة الغربية المناهضة لأي مظهر حضاري في المشرق العربي ، فان الأوضاع العلمية في مصر كانت تعاني الوهن ، إذا ما قورنت بما وصلت إليه أوروبا من نهضة شاملة في هذا العصر

كان غالبية أهل مصر في أواخر القرن 17 م وبداية 18 م ، لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث وفي نظرهم أن العلوم الدنيوية فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين .

إنّ ما كتب عن تاريخ الأدب المتعلق بالعصر العثماني في مصر ، يشتمل على آراء متضادة للنقّاد . كما قال الباحث التركي قدري ببلدرم في المؤتمر الدولي بمصر والذي حمل عنوان رفع الظلم عن مصر العثمانية . وأورد فيه أنّ البعض من أمثال جورجي زيدان رأوا أنّ العصر العثماني قد فسدت فيه ملكة اللسان وجمدت القرائح ، و لم ينبغ شاعر أو أديب يستحق الذكر وأصبحت الآداب العربية في أحط أدوارها [3] ، أما البعض الآخر وفي مقدمتهم عمر فرّوخ فيعتقدون أنه قد كثر الأدباء والشعراء في العهد العثماني بمصر بل أصبح الكثير من الأتراك ينظمون باللغة العربية ويؤكد أن حوالي

1. شهاب الدين الخفاجي : ريحانة الألباب في زهرة الحياة الدنيا ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1984: المرجع السابق ، ص : 117 .

2 . جمال الدين الشيال : المرجع السابق ، ص : 22 .

3. جرجي زيدان : مصر العثمانية ، تحقيق وتعليق : محمد حرب ، دار الآفاق العربية القاهرة 2002 ص: 193.

50 أديبا نابغا قضوا حياتهم الأدبية في مختلف مناطق مصر في القرن الحادي عشر فقط ، وهذه الكثرة خير دليل على تشجيع العثمانيين للأدب [1].

بعض المؤرخين . من أمثال محمد بن عبد الكريم . يصورون لنا الحياة الفكرية في مصر خلال العهد العثماني على أنها في أسوأ صوّرها حينما يوصف الأدب بالانحطاط إلى أسفل الدّركات ، وأن الآداب في مصر كانت مزركشة المباني مبتذلة المعاني ، ركيكة الأسلوب لا تجديد فيها و لا توليد[2].لكن.من خلال مطالعاتي.وللإنصاف التاريخي نقول أن هناك أدب وشعر وحركة أدبية في مصر خلال هذه الحقبة ولكنها لم تكن حركة راقية لظروف موضوعية منها :

. أنّ الأدباء العرب في هذا العصر فقدوا رعاية الحكام إلا في حالات قليلة ، ذلك أنّ الأدب الرفيع لا يزدهر إلا إذا نال صاحبه شيئا من التشجيع والرعاية .

. أن الوطن العربي خلال القرنين 10 . 11 هـ / 16 . 17 م انقطع عن العالم الخارجي تقريبا مما أثر في الإنتاج الأدبي الذي يحتاج إلى محاكاة للآداب الأخرى وعاش الأديب المصري والعربي عموما شبه عزلة ، فأنتج أدبا جديدا ، ولكنه في الغالب فاقدا للروح يبدو فيه الإبداع لونا باهتا [3] .

. كان السجع اللّون الغالب في أساليب كتاب هذا القرن مما جعل المعاني تضيع في زحمة الأسجاع ،وكان الكاتب يختار الألفاظ المسجوعة قبل المعاني، فالسجعة عنده سابقة والمعنى لاحق ، حتى يخيّل للمطلع على نثرهم كأن السجع هو غايتهم وليس الكتابة في ذاتها .

رغم ما قيل عن تراجع الحركة الفكرية و العلمية والأدبية خلال هذا العهد فإننا نجد كوكبة كبيرة من المؤرخين4 و المحدثين والفقهاء من أمثال الشيخ علي الاجهوري

---

1 . هالة أحمد زكي : لزيادة التواصل بين مصر وتركيا المطالبة بمشاركة تركية في لجنة لإعداد دراسة لتاريخ مصر في العهد العثماني ، جريدة الأهرام ، السنة : 132، العدد : 44187 ، اليوم : 29 /11 / 2007 .

2 . محمد بن عبد الكريم : المرجع السابق ، ص : 80 .

3 . بهنام هدى شوكة : النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقّري ، دار الرائد العربي بيروت ، لبنان ط02 ، 1984 . لمزيد . عد إلى : حامد حنفي داود : تاريخ الأدب الحديث ، تطوره .معالمه .مدارسه ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص، ص : 67 ، 68 .

4 . من هؤلاء المؤرخين محمد بن أبي السرور البكري الصديقي المتوفى سنة 1087 هـ / 1676 م الذي ألف كتب كثيرة تعتبر مصادر لذلك العهد منهم : الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة عيون الأخبار ونزهة الأنظار المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، والمؤرّخ عبد الباقي الاسحاقي المنوبي المتوفى سنة 1060 هـ / 1650 م

وشهاب الدين الخفاجي ، برهان الدين الميموني ... ، وقد أنجب هذا القرن أفذاذا من العلماء في مختلف العلوم امتلأت بذكرهم كتب التراجم .

ما يمكن أن نخلص إليه عن الأوضاع الفكرية في مصر خلال العهد العثماني أنّ هناك تضاربا في الآراء والقناعات بين المؤرخين ، والذي يعود أساسا إلى مصادر انتقاء تلك المعلومات عن هذه الحقبة ، والتي كان المفروض فيها أن تكون من مصادرها العثمانية الغنية بمادتها الأرشيفية في مختلف الفنون والعلوم ، فقد ذكر (شو SHAW) أن الأرشيف العثماني يوجد به 40 ألف مادة أرشيفية فيها 200 ألف وثيقة عن مصر[1]، لقد أهمل المؤرخون المصريون والغربيون على السواء دراسة العصر العثماني نتيجة للاعتقاد السائد عن ندرة ، وقلة مصادر هذا العصر ولمّا كانت الغالبية من الباحثين ليست لها دراية باللغة العثمانية فإنها أهملت دراسة تاريخ العهد العثماني واعتمدت على بعض المصادر الغربية ذات الأهداف الموجّهة أو بعض المخطوطات العربية على قلتها وستظل المعلومات عن الفترة العثمانية ناقصة وقاصرة حتى يوجد من يتعلّم قراءة خط القيرمة [2] العثماني.

02 / الأوضاع الفكرية في بلاد الشام .

تواجدت الكثير من المراكز التعليمية في عدة أقاليم بالشام منها دمشق وحلب كما ظهرت بعض المدارس التعليمية في مدن أخرى كثيرة خاصة بيت المقدس ونابلس يضاف لهم الرملة وحمص و حلب وغزة ، وقد اشتهرت دمشق بكثرة مدارسها ، منها ما كانت تدرس العلوم الدينية و اللغة و الفقه ، وقد وصل عدد طلبتها نحو 800 طالب، و كان أكثر العلماء يدرّسون في بيوتهم ، أو في الجوامع مما يعني أن عدد الطلاب أضعاف هذا الرقم وهناك المدارس العادية التي تدرّس أبجديات القراءة ، والكتابة

وصاحب كتاب : لطائف أخبار الأول فيمن تصرّف في مصر من أرباب الدول ومحمد بن أبي السرور البكري المتوفى سنة : 1078 هـ وله : النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، انظر . حنفي داود : المرجع السابق ، ص : 69 ، انظر أيضا . الشيال : مرجع سابق : ص ، ص : 26 ، 27 .

1 . زكي : المرجع السابق ، انظر . مقال الدكتور(شو SHAW) في مؤتمر تاريخ مصر المنعقد بمدرسة اللغات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن 1965 ، ص : 21 .

2 . القيرمة من قيرمق التركية بمعنى الثني والتكسير ، وشاع استعمال هذا الخط في مصر ابتداء من القرن 11هـ / 17 م ، انظر . عبد العزيز عمر : تاريخ مصر ، ط02 ، ، دار الآفاق العربية القاهرة ، 1993 ، ص ، ص : 05 ، 10 ، انظر أيضا . حسن عثمان : منهج البحث التاريخي ، مطبعة مصطفى البابي القاهرة ، 1965 ، ص ، ص : 26 ، 27 .

وقد أحصتها الحكومة سنة 1099 هـ / 1688 م ، حيث بلغت 74 مدرسة للذكور فيها 1200 تلميذا ، و 28 مدرسة للبنات فيها 349 بنتا [1] ولم تقل مدارس حلب عن هذا العدد ومثّل الجامع الأموي [2] الآخية التي دارت حولها جموع العلماء الشاميين ، وغيرهم من علماء المسلمين في مختلف العصور وظل مركزا للإشعاع العلمي، وجامعة إسلامية تشد لها رحال طلاّب العلم خاصة العلوم الشرعية .

كانت الدراسات التاريخية أبرز مجال برع فيه أهل الشام ، و قد انتقل هذا اللون من ألوان التأليف إلى الشام خلال القرن 11 هـ / 17 م ، بعدما تراجع في مصر وظهرت مؤلفات ضخمة للشاميين ميزتهم عن باقي حواضر المشرق العربي ومن أهم تلك المؤلفات : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، وذيله لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ، ألّفه : محمد نجم الدين أبو المكارم الغزي (977 . 1061 هـ / 1570 . 1651 م) ، وقد نزح جده من غزة وكان نجم الدين الغزي مفتيا للشافعية في دمشق [3] ، وللغزي كتاب آخر هو : حسن التنبه لما ورد في التشبه ، في سبعة مجلدات ، كتبه لما هاله تأخر الأمة الإسلامية وتشبهها بأخلاق غيرها .

نزهة الخاطر وبهجة الناظر : تأليف : شرف الدين بن موسى الأنصاري، و من أكثر الكتّاب والمؤرخين الدمشقيين إنتاجا خلال هذا القرن الشيخ عبد الغني النابلسي (1050 . 1143 هـ / 1641 . 1731 م) فقد زادت مؤلفاته عن 250 مؤلف في مختلف الفنون من أبرزها : القول السديد في جواز خلف الوعيد والرد على الرومي العنيد ، انتهى من تأليفه سنة 1692 ، الرد على من تكلم عن ابن العربي و عنونه بالرد المتين على منتقص العارف محي الدين [4] ، ألّفه سنة 1083 هـ / 1672 م .

---

1 . نعمان قساطلي : المصدر السابق ، ص : 119 .

2 . ينتسب الجامع الأموي (في دمشق) إلى بني أمية ، فقد شيّده الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة 88 هـ / 658 م ، وبقي عبر القرون أحد المراكز والمنارات العلمية (الأربع) الكبرى في المشرق العربي . انظر . عبد الله البدري : نزهة الأنام في محاسن الشام ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1980 ، ط1 ، ص : 22 .

3 . عبد الكريم رافق : دراسات تاريخية ، مجلة علمية فصلية تعنى بتاريخ العرب ، السنة 24 ، العدد : 81 ، 82 ، سنة 2003 ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، ص ، ص : 128 .

4 محي الدين بن العربي (560 . 638 هـ / 1165 . 1240 م) ، أثار موجة عارمة من الإعجاب وموجة مضادة من الاحتجاج والتكفير بسبب دعوته الفلسفية (وحدة الوجود) ، وقد حوّل ابن العربي التصوف من حالة وجدانية فردية إلى ظاهرة اجتماعية . انظر . محمد الإدريسي : ابن عربي ومنهجه الصوفي الفلسفي ، دار الثقافة ،

يعتبر محمد الأمين المحبي[1] أشهر مؤرخي الشام خلال القرن 11 هـ / 17 م وصاحب موسوعة خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، الذي جمع فيه تراجم العلماء والأدباء والمتصوفة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، كما ترجم لملوك وأمراء ذلك القرن.

في مجال العلوم الطبية كانت لا تزال في الشام بقايا مما عرفه المسلمون في عصورهم المزدهرة ، وألفت خلال القرن 11 هـ / 17 م بعض الرسائل والكتب الطبية كان أبرزها كتاب (تذكرة داود) لصاحبه داود الأنطاكي (الطبيب الضرير) الذي درس الطب وعلوم الأوائل وتعلم اللغة اليونانية ، ومارس الطب بدمشق[2] يقول عنه شهاب الدين الخفاجي : (ضرير بالفضل بصير ، كأنما ينظر خلف ستارة الغيب ، بعين فكر خبير ... إذا جس نبضا لتشخيص مرض عرض أظهر من إعراض الجواهر كل غرض ، ... وكان يقول : لو رآني ابن سيناء لوقف ببابي ، أو ابن دانيال لاكتحل بتراب أعتابي ...)[3].

و كانت مهنة الطب في الشام تورث كبقية المهن ، ولم يكن مستغربا أن تجد قاضيا أو عالما يعين رئيسا للأطباء .

اختلفت صورت الحياة الأدبية في الشام عما هي عليه في مصر ، فإذا كانت سهام الاتهامات قد وجهها المؤرخون للدولة العثمانية كونها المسؤولة عما أصاب العالم العربي الإسلامي من الضعف الحضاري ، وأن الأدب العربي . ذكر محمد بن عبد الكريم . قد انحط إلى أسفل الدركات ، فإن الحياة الأدبية الشامية أظهرت صورة مغايرة

الدار البيضاء المغرب ، ط 02 ، 2004 ، ص . ص : 4 . 5 و ما بعدهما . انظر أيضا .عبد الحفيظ فرغلي ، علي القرني : الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي سلطان العارفين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986 ، ص : 23 و ما بعدها .

1 . محمد الأمين المحبي (1061 . 1111 هـ / 1651 . 1699 م) كان اسما لامعا في سماء الشام أحاط بعلوم كثيرة مثل التفسير والفقه والنحو والحساب والمنطق كما كان أديبا لامعا ، جمع علوما كثيرة ، أتقن الفارسية والتركية إلى جانب العربية ، اشتغل بالتدريس والقضاء في دمشق لسنوات طويلة . انظر . الصبّاغ : المرجع السابق ، ص ، ص :41 ، 65 .

2 .. شهاب الدين الخفاجي : ريحانة الألباب في زهرة الحياة الدنيا ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1984، ص : 271 .

3 . عمار هلال : العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين:09 . 20 م / 03 . 14 هـ ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، 1995 ، ص : 293 .

للصورة الثقافية التي رسمها المؤرخون وتؤكد أن ضعف الدولة العثمانية الثقافي لم يمنع الحياة الفكرية فيها من أن تأخذ مجراها فلم تعق المفكرين من علماء وأدباء من أن يعيشوا حياة مجتمعهم وأجواءهم الثقافية الخاصة، فقد ازدهرت الحركة الأدبية الشامية ومن عوامل ذلك الازدهار كثرة القبائل العربية المنتشرة في ضواحي الشام ، والتي ظلت متمسكة بتراثها الأدبي وغير آبهة بالتغييرات السياسية على الساحة الشامية خلال القرن 11 هـ / 17 م .

من دلائل ازدهار الحركة الأدبية في الشام انبهار عالم الجزائر الشيخ أحمد المقّري بالشام وبعلمائها وأدبائها ، و بعطاءاتهم الفكرية ويذكر في موسوعته (نفح الطيب) أن جلساته مع أدباء وأعيان الشام كانت تدور حول الأدب والفنون ، فيقول : (ونتفيأ من ظلال التبيان مع أولئك الأعيان في مجالس مغبوطة ، نتجاذب فيها أهداب الآداب ونشرب من سلسل الاسترسال ونتهادى لباب الألباب ...) [1] .

أشار الشيخ المقري في كتابه نفح الطيب ، ورحلته إلى المشرق والمغرب إلى نماذج من أدباء الشام الذين أثروا القرن 11 هـ بإنتاج أدبي راق ، كان من أبرزهم الأديب الدمشقي أحمد بن شاهين[2] الذي ألحّ عليه رفقة مجموعة من أعيان الشام وأدبائها . الذين سامروه طويلا في جلسات الأدب الأندلسي وعالمها لسان الدين بن الخطيب . ليكتب موسوعته التاريخية والأدبية (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) ، وقد قال الشيخ المقّري بشأن ذلك : (فلما تكرّر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به دون غيره . يقصد لسان الدين . حتى صار كأنه

---

1 . أحمد المقري : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق ، إحسان عباس ، المجلد 01 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1968 ، ص : 69 .

2 . احمد بن شاهين : 995 . 1053 هـ / 1587 . 1643 م ، شاعر ولغوي ، أصل والده من جزيرة قبرص اشتراه بعض الأمراء وتبناه وجعله من أكابر دمشق ، ولد أحمد بن شاهين بدمشق ، انضم في بداية حياته إلى الجند ثم انصرف للعلم والأدب ن له ديوان شعر ، تولى قضاء الركب الشامي سنة 1030 هـ 1621 م ، جرب صناعة كيماوية بتحويل بعض المعادن إلى ذهب وفضة ، لكنه لم يصل إلى نتيجة وقال في ذلك شعرا مما جاء فيه :

لعمري لقد جربت كل مجرب *** من الناس أضحى يدعى العلم بالحجر .

فإن قال أني وصلت قل كاذب *** غدا واصلا من الكذب للشمس والقمر.

انظر . محمد مطيع الحافظ ، نزار اباظة : علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر الهجري ، ج 01 دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2000 ، ص ، ص : 544 . 466 .

انظر أيضا . المحبي : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ، ص : 210 ، 217 .

كلمة إجماعهم ... فطلب مني المولى أحمد الشاهيني إذاك... أن أتصدى للتّعريف بلسان الدين ...) [1]، وبذلك نسجل أن الحياة الفكرية الثقافية في الشام خلال القرن 11 هـ 17 م قد عرفت حركية قلّ نظيرها في المشرق العربي .

03 / الأوضاع الفكرية في الحجاز.

عند تطرقنا للحجاز فنقصد به مكة والمدينة ، أو بالأحرى الحرمين الشريفين باعتبارهما مركز أي حركة فكرية أو أدبية ، وبطبيعتهما الدينية المقدسة لدى كل المسلمين فهناك نزل الوحي ، ومهد الإسلام ، وهما مركز العلم الشرعي في الدولة الإسلامية و يمكن القول أن مكة المكرّمة و المدينة المنوّرة مبدأ و منتهى الحركة الفكرية ، بسبب الرحلات السنوية للحج و الزيارة ، و هما بذلك ملتقى العلماء من المشرق والمغرب ووسيلة مهمة لنقل الكتب و المعرفة إلى سائر البلاد الإسلامية [2].

بعد وصول العثمانيين إلى الحجاز في القرن 10 هـ / 16 م ، نزح الكثير من رعاياهم إلى مكة والمدينة ، وكثر المجاورون خلال القرن 11 هـ ، وتفرغ الكثير للتدريس والتأليف مكونين مع علماء الحرمين حركة علمية نشطة [3] ، وقد اشتهرت مكة خلال هذا القرن ببيوت ثقافية علمية منها : آل الرشيد ، آل المنوفي ، آل المفتي آل البصيري ، آل الزمزمي وعن طريقهم تحركت الحياة الثقافية الدينية في مكة المكرمة طوال القرنين الحادي عشر والثاني عشر .

ونظرا لأهمية البقاع المقدسة بالنسبة للسلاطين العثمانيين ، فكان عليهم أن يولوها اهتماما خاصا باعتبارها عمودهم الفقري في بقائهم بمكانة أقوى أمام الشعوب الإسلامية ، لذلك شيّد العثمانيون العديد من المدارس مثل المدرسة المرادية والتي أسسها السلطان مراد الثالث (982 . 1003 هـ)[4] ، وتظهر لنا الصّورة الثقافية للحجاز

---

1 . المقّري : المصدر السابق ، ص : 70 .

2 . السعيد لمليح : التواصل الفكري و الروحي بين المغرب الأقصى و المشرق الإسلاميين (مصر والحجاز) : أسسه ومظاهره ، من بداية القرن السابع إلى أواخر القرن الثامن الهجريين ، المجمع الثقافي ابوظبي الإمارات العربية المتحدة ، 2005 ، ص : 352 .

3 . هدى محمد العمودي : صناعة الكتاب المكي من خلال المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى الرابع عشر ، مكتبة الملك فهد ، مجموعة 13 ، 2006 ، ص : 09

4 . فريد لك المحامي : الصدر السابق ، ص : 259 وما بعدها .

خلال القرن 11 هـ في رحلة أوليان جلبي[1] ، الذي حج سنة 1082 هـ / 1671 م حين ذكر أوصاف مدارس مكة المكرّمة مؤكدا أن في الحرم 40 مدرسة وصفها بأنها عظيمة منها : مدرسة باب السلام ، مدرسة السلطان قايتباي ، وانتشرت الكتاتيب ودور القرآن و الحديث الشريف في أكثر من مكان بمكة حيث تعقد فيها الدّروس.

أنشئت أربع مدارس كبيرة في الجهة الجنوبية للمسجد الحرام في نهاية القرن 10 هـ / 16 م ، كان يدرّس في كل واحدة منها أحد المذاهب الأربعة ولا يعيّن بها إلا كبار العلماء وكانت المدرسة المالكية السليمانية أرقى المدارس الأربع [2] .

يرتّب المسجد النبوي الشريف في المرتبة الثانية من الناحية الدينية والعلمية بعد المسجد الحرام ، وقد حافظ على مركزه العلمي خلال العهد العثماني وظلّت المدينة المنوّرة مقصدا لطلبة العلم المغاربة وغيرهم ، وكان العلماء المجاورون يحتفظون بكتبهم داخل المسجد النبوي في أماكن خاصة بهم ، وللدلالة على وفرة الكتب وتنوعها ما ذكره (المنوني) أنه ما من عالم صنّف كتابا بالمشرق أو المغرب ، أو أي مكان آخر من العالم الإسلامي إلا ويصرف نسخة للمدينة الشريفة تبركا ، ورجاء الإقبال على كتبه [3] ، كما فعل الشيخ المقّري عند تأليفه لكتابه : إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة ، و فتح المتعال في مدح النعال .

في مجال الفقه المالكي بالحرمين نبغ علماء جزائريون و كتبوا مصنفات وشروحا كان منهم : أحمد المقّري ، و عيسى الثعالبي، وقد شهدت الحجاز عموما نبوغ علماء ومؤلفين دعموا الحياة الأدبية والعلمية خلال القرن 11 هـ بمعارفهم ومصنفاتهم كان من أبرزهم :

1 . أوليا جلبي بن درويش محمد ظلي ، حجّ سنة 1082 هـ و أعطى وصفا كاملا عن مدارس مكة في نهاية القرن 11 هـ ، للإطلاع أكثر .انظر . أوليا جلبي : الرحلة الحجازية ، ترجمة : احمد مرسي الصفصافي دار الآفاق العربية ، بيروت ، 1999 ، ص ، ص : 265 ، 279 .

2 . إبراهيم بن عبد الله السماري : ثقافة مكة المكرّمة في أدب الرحلات الحجازية ، مكة المكرّمة عاصمة الثقافة العربية ، 2005 ، ص : 172 .انظر . عبد الرحمان بن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرّمة مؤسسة الرسالة مكة ، 2001 ص ، ص : 61 ، 66 .

3 . محمد المنوني : الجزيرة العربية في الجغرافيا و الرحلات المغربية ، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1983 ، ج 02 ، ص : 201 .

. عبد الرحمان المرشدي : 975 . 1037 هـ ، وهو إمام المسجد الحرام وله مؤلفات في علم التصوف من أهمها ترصيف التصريف، شرح كتاب الكافي في علم العروض والقوافي سماه (الوافي) ، ورسالة في الهلال (مسلك الرمز شرح مناسك الكنز) [1] .

. عبد الله باقشير : 1003 . 1076 هـ ، ألف الكثير من الكتب ووضع الحواشي والفتاوى من تلك المؤلفات منظومة في الأدب وشرحها .

. أبو بكر السقاف : 1018 . 1074 هـ ، له عدة مؤلفات في التصوف واللغة العربية والفرائض والحساب والميقات .

تجلّت مظاهر الثقافية كذلك في الحرمين خلال هذا القرن انتشار الكتاب الديني الذي صار زادا للحجاج والمعتمرين في مجالات أصول الدين وأحكام الشريعة والحديث والمناسك ، حاز باب السلام بالمسجد الحرام شهرة كبيرة كونه موقفا للورّاقين والنسّاخ واشتهرت مكتباته التي لعبت دورا كبيرا في تفعيل الحركة الثقافية بمكة المكرمة[2] .

لقد تصدى بعض علماء الجزائر لذلك الواقع الفكري الفلسفي الصوفي الجارف في المشرق العربي ، ونافحوا بأقلامهم و مواقفهم لتصحيح ذلك المسار الفكري المترهّل وكان الشيخ يحي الشاوي النائلي من أبرز أولائك العلماء الذين دافعوا عن السنة النبوية و الإسلام الوسطي المعتدل ، الموازن بين العقل و النّص ، وبين علم الظاهر و الباطن ، وألف في ذلك كتابه الشهير النبل الرقيق في حلقوم الساب الزنديق 3 .

ما يمكن أن نخلص إليه أن الحياة الفكرية في المشرق العربي وقصدنا بها تحديدا (مصر ، و الشام و الحجاز) قد اختلفت حولها آراء المؤرخين ، بل وصلت إلى حدّ التناقض ، ويعود ذلك الاختلاف إلى زاوية الدراسة التي ينطلق منها كل فريق ، و إلى مدى توفر المادة التاريخية (المخطوطة خصوصا) ، وأحيانا يخضع الأمر إلى المدرسة التاريخية التي ينطلق منها المؤرخ .

---

1 . العمودي : المرجع السابق ، ص : 39 . 66 .

2 . عبد اللطيف بن دهيش : المكتبات في مكة المكرمة ، نشأتها وتطورها عبر العصور ، جامعة أم القرى مكة ، ط01 ، 1998 ن ص : 69 .

3 . أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ... ، ج02 ، المرجع السابق ، ص ، ص :143 ، 145 .

والشيء الذي نؤكده أن الثقافة العربية الإسلامية كانت واسعة الانتشار في المشرق العربي ، و كانت هناك مؤسسات مرجعية لهذا النوع من العلوم ممثلة في الأزهر الشريف ، و الجامع الأموي ، و الحرمين الشريفين .

إن النظرة التقليدية إلى الحياة الثقافية العربية إبان العهد العثماني على أنها حياة ركود و جمود فكري تحتاج إلى إعادة نظر ، و إلى بحث و دراسة انطلاقا من الكنوز العربية والعثمانية المخطوطة التي لم تأخذ حقها من الاستقراء والبحث العلمي الأكاديمي ، بعيدا عن آراء أولائك المنتسبين للمدرسة التاريخية الاستعمارية الغربية الذين تناولوا الثقافة العربية في العهد العثماني بطريقة أقل ما يقال عنها أنها غير موضوعية .

مع نهاية القرن الـ 19 م ساد الضعف مفاصل الدولة العثمانية ، و توغلت الحركة التتريكية القومية الطورانية التي سيطرت على الساحة السياسية ، وقد أسست حركة تركيا الفتاة و استهدفت تتريك كل العرب الخاضعين للإدارة العثمانية ، و تنكرت لتاريخ الدولة العثمانية الإسلامي و صارت تدعوا القومية التركية الضيقة ، مما جعل الكثير من المثقفين العرب خاصة في مصر و الشام يواجهون تلك النزعة وتزعم ذلك خاصة المسيحيين العرب ، الذين كانوا يدعون إلى إحياء التراث والفكر العربي بعيدا عن الهوية الحضارية الإسلامية .

من أبرز الشعراء العرب الذين عملوا لواء إحياء التراث العربي في بلاد الشام إبراهيم اليازجي[1] و بطرس البستاني[2] و غيرهم ، وللنهوض بالفكر العربي وجدت جمعيات ثقافية اشتراك فيها كثير من المفكرين و المثقفين والكتاب العرب وكانوا يعقدون اجتماعات بقيت في سرية تامة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى خوفا من اضطهاد

1 . إبراهيم اليازجي لغوي و ناقد و أديب ، و لد ببيروت في بيت علم ، فهو ابن الشاعر اللبناني ناصف اليازجي ، كان ميلاده في 02 مارس 1847 ، يعد من رواد النهضة العربية الحديثة ، تولى تحرير جريدة النجاح سنة 1872 ، و أسس بمصر جريدة الضياء عام 1894 ، توفي بالقاهرة سنة 1906 .للمزيد عن حياة إبراهيم اليازجي عد إلى : فاتح حجية : شعراء النهضة العربية .

2 . مسيحي لبناني ، يعد أحد أبرز الوجوه الأدبية و السياسية لال القرن ال20 في لبنان ، دعى إلى القومية العربية ي مواجهة دعوة التتريك العنصرية التي قادها جمعية الإتحاد و الترقي .

العثمانيين لهم أهم هذه الجمعيات ثقافية أسست في بيروت سنة 1868م التي تحولت إلى حزب سياسي مناوئ للتواجد العثماني في المشرق العربي .

قد اشترك في هذه الجمعية كل المثقفين العرب المسيحيين منه المسلمين ولم يكن يفرق بينهم شيئا بل تناسوا الفوارق الموجودة بينهم عرقية كانت أم دينية أو اجتماعية أو سياسية وكونوا كتلة واحدة وقفت بمثابة رجل واحد ضد التواجد العثماني في المشرق العربي .

كان الاحتكاك بالأجانب عاملا هاما من عوامل التي جعلت الفكر العربي يفيق من السبات فكانت الحركة الأولى التي اخص بها المشارقة في بداية هذا القرن هي حركة تركيا الفتاة،وكانت الصحافة من أهم العوامل الباعثة للتفكير والناقلة لأفكار مختلفة من السياسة وأدبيات غيرها فشهدت بيروت في نهاية القرن 19م وموت حوالي 28 جريدة ومجلة انتقل بعضها إلى القاعدة ومن أهمها المقتطف 1865-1952 .

خلال تلك الفترة الطويلة التي عاشتها المجلة كان يشرف عليها علماء أجلاء في الثقافة والفكر حاملة الأفكار جديدة تعبر عن الواقع العربي المؤسف كانت بمثابة منارة للفكر تحمل في طياتها قرارات النهوض و الخروج من مرحلة طالما عانى منها المجتمع العربي وفي نفس الفترة أسس كل من يعقوب سروف وفارس نمر جريدة رسمية دعاها المقطب وعاشت فيه بين (1889-1952) وكان دورها كدور سابقتها في النهوض بالفكر العربي .

كما أسس احد الصحافيين في مصر جريدة الأهرام التي كانت منافسة للمقتطف وجورج زيدان مجلة الهلال التي تصدر في سنة 1892 وجورج زيدان هو أول ناقد في التاريخ العربي ،وأول من كتب قصة تاريخية وروايات مستوحاة من التاريخ العربي .

06 / الدولة العثمانية والتحديات بالمشرق العربي خلال القرنين 18، 19 .

نتيجة لسياسة العثمانية وخاصة الزراعية والإدارية في الولايات العربية ظهرت حركات استقلالية انفصالية في الولايات العربية مستغلة تراجع قوة الدولة العثمانية منذ القرن18م بعد تراجع واختلال موازين القوى بين الدولة العثمانية ودول أوربا وخاصة القيصرية الروسية والنمسا حيث تراجعت الدولة العثمانية أمامهما من خلال معاهدة كارلوافيتس 26 جانفي 1639م مع النمسا ومعاهدة كوجوك كينارجي 21 جويلية 1774م مع روسيا القيصرية.

لذلك ظهرت محاولات تمرد وانفصال في الشام ومصر خلال القرن 18م و19م منها:

أ / تمرد علي بك الكبير.

من الصعب معرفة أصول علي بك الكبير على وجه اليقين لان كان كباقي المماليك التي يتم شراؤهم ثم بيعهم لأمراء يقومون بتربيتهم على الدين الإسلامي نشاء علي بك الغازي علي مملوكا لدى إبراهيم كتخدا الذي رعاه و أنشاه تحت رعايته وعلمه ودربه ، حيث بدأت تظهر ملامح تفوقه وكفاءته العسكرية [1] .

عين في منصب قائد في الجيش المملوكي بعد وفاة سيده 1755م وتحصل على منصب أمير الحج المصري وشيخ البلد منذ عام 1763، ومن واقع النشأة التي قامت على التنافس والصراع المحتدم ، تولدت لديه النزعة والطموح الجامح ،والتي تجلت في قسوته الشديدة إزاء منافسيه ، و في وطموحاته الكبيرة التي ليس لها حدود فتوجه بأمواله التي تحصل عليها إلى شراء المماليك جاعلا منهم فرقا عسكرية تنفذ له مهام القضاء على المنافسين وتوسيع النفوذ ، ولم يتوقف أمر طموحه على الرغبة الشخصية بل تعداه نحو متابعة مسيرة الأبطال المماليك جاعلا منهم مثلا أعلى له[2].

هذا الطموح جر عليه الكثير من الأعداء حتى اضطر للتوجه نحو المناطق البعيدة خارج القاهرة ، إن كان في الصعيد المصري أو الحجاز أو الشام ، لكنه تمكن من العودة إلى القاهرة سنة 1765 حيث تسلم مشيخة البلد وكان توجهه التخلص من منافسه اللدود عبد الرحمان كتخدا الذي نفي للحجاز[3] .

بدأ علي بك الكبير موجة من الصراع مع أصحاب النفوذ لان المبادرة بقية دائما بيده ، حيث توجه نحو تصفية أعدائه من خلال ممارسة النفي والقتل بل حتى مصادرة الأموال وجعل من مملوكيه محمد بك أبو الذهب واحمد الجزار بمثابة اليد المنفذة لرغباته وخططه .

وجه علي بك الكبير جهوده نحو السيطرة على الوجه البحري حتى تم القضاء على التحالف البحري الذي كان بين عرب الحبايبة و الهنادي و الصوالحة فيما توجه نحو السيطرة على الوجه القبلي ،حيث جهز حملة عسكرية بقيادة محمد بك ابو الذهب

1. الغالي غربي : المرجع السابق ، ص : 132

2. إسماعيل أحمد ياغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ط02 ، مكتبة العبيكان 1982 ، ص : 123

3. الغالي الغربي : المرجع السابق ، ص : 132 .

حيث خاض معركة أسيوط سنة 1769، والتي نتج عنها سيطرة علي بك الكبير على مجمل الأراضي المصرية .

كانت العلاقة بين علي بك الكبير والدولة العثمانية تقوم على الشك والتوتر حتى أن علي بك الكبير لم يتردد في عزل محمد راقم باشا الذي عمل جاهدا نحو تقليص نفوذ علي بك الكبير ، هذا الأخير الذي استغل الموقف الصعب الذي تعيشه الدولة العثمانية خلال نزعها مع روسيا القيصرية .

على الرغم من انه حقق انتصارات كبيرة إلا أنه بادر إلى إرسال الهدايا الثمينة إلى السلطان العثماني طالبا منه تثبيته على مصر والشام [1].

عمل علي بك الكبير على توسيع الجيش المصري وتقويته وتجهيزه مما أثارت الريبة لدى الباب العالي ،فعمدت الدولة العثمانية إلى إرسال بعض رجالها لاغتياله ، فاستثمر هذه الحادثة لصالحه وبدا في تحريض المماليك ضد الدولة العثمانية زاعما أنّ خطة السلطان العثماني ترمي إلى القضاء نهائيا على المماليك في مصر .

أعلن علي بك الاستقلال التام عن الدولة العثمانية سنة 1769 والذي بدت مظاهره في قطع إرسال الضريبة السنوية ، و صك النقود باسمه [2] ، وعمل على نفي موظفي الدولة العثمانية خارج مصر والعمل نحو تركيز نفوذ في الحجاز حتى حظي بالدعاء له في منابر الحجاز منذ سنة 1770 ، بعد أن استغل الصراع الذي نشب بين اسر أشراف مكة ليقف إلى جانب الشريف عبد الله .

قام بتجهيز حملة عسكرية سنة 1770 بهدف السيطرة على الشام و عيّن على رأسها محمد بك أبو الذهب لقيادتها ، وعند وصوله إلى الشام لقي دعما من الشيخ الطاهر العمر لتتم السيطرة على مدن غزة ويافا ونابلس والرملة وصيدا ثم دمشق التي سقطت بيده سنة1771 ، وبذلك امتد سلطان علي بك ليشمل مصر والحجاز والشام في مدة حوالي ثلاث سنوات [3] .

لم يكن العثمانيون قادرين على التصدي لقوة علي بك الكبير لذلك عملوا على استمالة قائده محمد بك أبو الذهب و أغروه بمشيخة مصر مقابل انقلابه على علي بك

1. إسماعيل ياغي : المرجع السابق ، ص : 123 و ما بعدها .

2. روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ج01 ، ط 01 ، دار الدراسات للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1992 ، ص : 551 .

3. إسماعيل ياغي : المرجع السابق ن ص : 123 .

الكبير ، فوافق ابو الذهب ورجع بالجيش من الشام إلى مصر ليطرد منها علي بك الكبير بعد أن هزمه ، وفر علي بك نحو مدينة حليفه ظاهر العمر .

قام علي بك بتجهيز جيش بمساعدة الشيخ الظاهر العمر و الأسطول الروسي في بحر المتوسط ليصل بالحملة الى مصر سنة 1773 حيث التقى الطرفان في موقعة الصالحية [1] ، فتعرض علي بك لهزيمة أخرى واخذ أسيرا ومات في سجنه سنة 1773 .

بعد القضاء على تمرد علي بك الكبير أرسلت الدولة العثمانية خليل باشا إلى مصر باعتباره الوالي الرسمي ، لكن الوقائع كانت تشير إلى خضوعه للنفوذ الواسع الذي تحصل عليه محمد أبو الذهب عقب انتصاره[2].

ب / تمرد محمد علي باشا .

كان من الطبيعي إن لا يهمل محمد علي أمر الجيش فبني أسطولا بلغ من القوة شأنا كبيرا ، كما أعاد تنظيم الجيش تنظيما عصريا ، وكانت أول تجربة قامت بها قواته سنة 1811 ، وهي سنة مهاجمته الوهابين في الحجاز ، بطلب من الباب العالي، ليقوم محمد علي القيام بتأديب الوهابين المتمردين عن الدولة ، وقد دامت هذه الحرب قرابة 07 سنوات أسفرت عن إخضاع الحجاز ونجد في حدود الخليج العربي ودامت السيطرة عن هذه المناطق حتى سنة 1840 .

كانت الحرب الثانية لجيش محمد علي التي خاضها في السودان الشرقي 1820.1822 ، و قد احتل الجيش المصري بلاد النوبة ودنقلة و أجزاء أخرى من البلاد بشكل أو بآخر حتى منتصف القرن 20 ، لكن الحملات البحرية و البرية التي خاضها جيش محمد علي فيما بين 1825.1828 كانت أكثر أهمية و اخطر من تلك التي خاضها في الحجاز و السودان ، وكان على رأس قيادة الجيش ابنه إبراهيم باشا ، و قد أفلت النصر من قبضته حين حطم الأسطول المتحالف . الانجليزي ، الروسي ، الفرنسي . الأسطول العثماني سنة 1827 في معركة نافرين و انتهت تلك الحرب بتحرير أو انفصال اليونان في نفس السنة ، و قبلها كان الباب العالي قد وعد محمد علي بولاية سوريا ،مقابل الاشتراك في الحرب معه ضد أعدائه لكنه لم يف بعهده

1 . موقعة الصالجية ، معركة وقعت بين علي بك الكبير وحليفه ظاهر من جهة ، ضد أبو الذهب بعد انقلابه على علي بك الكبير ، و جرت تلك الوقعة في صفر 1187 هـ ، أفريل 1773 ، انتصر فيه أبو الذهب انتصارا كبيرا ، وأصيب علي في المعركة ، و أسر و اخذ إلى القاهرة ، و تشير المصادر أنه مات متأثرا بجراحه في نفس السنة .

2 . محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص : 300 .

شكلت طموحات محمد علي باشا و تطلعاته نحو الاستيلاء على بلاد الشام سببا رئيسيا في احتدام الصراع بينه وبين السلطان العثماني ، و لعل لقوة جيش محمد علي باشا و تنظيماته العسكرية أثرها الواضح في تفوقه على الجيش العثماني الأمر الذي دفع السلطان العثماني إلى طلب المساعدة من الدول الأوروبية .

سعت بعض الدول الأوربية . حفاظا على مصالحها . لدعم السلطان العثماني الذي أعلن أنّ محمد علي متمردا و خارجا عن إرادة السلطان العثماني ، و استغلت تلك الدول وسائلها الدبلوماسية و العسكرية لفرض معاهدة لندن 1841 م .

***/ دو افع محمد علي للاستيلاء على بلاد الشام .**

حاول محمد علي توسيع نفوذه لبلاد الشام بموافقة السلطان العثماني كتعويض لخدماته للدولة العثمانية الكبيرة التي قدمها للدولة في الكثير من المناسبات وكتعويض عن خسائره في حرب اليونان[1] ، يضاف لها ضغوطات علي باشا عن طريق الدائرة النافذة لدى القصر السلطاني لإقناع السلطان بإصدار فرمان يمنح محمد علي بمقتضاه حكم بلاد الشام ، لكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل[2] ، وهناك دوافع أخرى كثيرة لتمرد محمد علي و اندفاعه للاستيلاء على بلاد الشام من أبرزها :

. فقدان الثقة بين محمد علي و السلطان العثماني ، فقد كان دائم الخشية من نوايا السلطان العثماني تجاهه ، و الرامية إلى التخلّص منه في أي فرصة ، لما يمثله من خطر و لمكانته السياسية و للنهضة التي بدأ يقيمها و صارت مضرب المثل في المشرق العربي كله ، وقد أدرك محمد علي أنّ نوايا السلطان محمود الثاني لا لم تكن خالصة نحوه ، بل كان ينظر إليه بعين الحسد و الريبة [3] .

زيادة على ما سبق فقد وصلت مسامع محمد علي أن السلطان محمود وافق سنة 1814 على تعيين لطيف باشا ليحل محاه واليا على مصر ، و في المقابل زاد شكوك السلطان في عدم إخلاص محمد علي للدولة العثمانية ، لما تلكأ هذا الأخير عن مساعدة

---

1 . هنري لورانس : المملكة المستحيلة ، فرنسا و تكوين العالم العربي الحديث ، ترجمة : بشير السباعي ، دار سينا للنشر ، القاهرة ، ط 01 ، 1998 ، ص : 131 .

2 . عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ج 03 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ط 01 ، 2000 ، ص : 221 .

3 . مرت أسعد عطا الله : العلاقات بين مصر و لبنان في عهد محمد علي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة ، ط 02 ، 2006 ، ص : 164 .

الدولة في حربها ضد روسيا سنة 1828 ، كل تلك الظروف جعلت محمد علي للتفكير بجدية للاستيلاء على بلاد الشام لتكون حاجزا بينه و بين الباب العالي و يضمن بقاءه على الأقل في حكم مصر .

. فكرة مشروع الدولة العربية الكبرى التي سيطرت على ذهب محمد علي وبتشجيع غربي منذ تولى حكم مصر 1805 و الانفصال بمصر و المناطق الناطقة بالعربية في المشرق عن الدولة العثمانية ، وكان يتطلع لتنفيذ مشروع نابليون في المشرق بأن كل سلطة قوية في مصر إنما تطلع بالطبع لمد نفوذها خارج الحدود المصرية و خاصة في اتجاه بلاد الشام[1] .

. ما تمثله بلاد الشام من أهمية إستراتيجية زيادة على ازدهار التجارة والزراعة بها فمن الناحية التجارية أراد محمد علي السيطرة على الطريقين المهمين للتجارة العالمية طريق البحر الأحمر و طريق الشام ، و كان في ذلك محاولة للضغط على بريطانيا ، للتحالف معه و الإفادة من موارده ، ومن الناحية الزراعية رأى محمد على أنّ في إمكانيات بلاد الشام موردا خصبا لكل ما يحتاجه من المواد الخام وكانت منتوجات بلاد الشام الزراعية تعرف رواجا في المجال الاقتصادي والتجارة العالمية ، فأراد أن يضيفها لمشاريعه كالحرير و الزيتون والجلود والخيول[2]

إن تفرد محمد علي بتوقيع اتفاق في أول من أوت 1828 مع الحلفاء بجلاء الجيش المصري عن المورة مع تحديد كيفية هذا الجلاء ،يمثل عملا من أعمال السيادة ما كان السلطان وهو صاحب السيادة على مصر ليغفره له فما أبداه الجيش المصري من قدرة وكفاءة في ميدان القتال جعل الدولة المتحالفة تفاوض والي مصر مباشرة من دون وساطة الدولة العثمانية وبذلك توطد مركز باشوية مصر،وأصبحت ولاية غير عادية من ثم فان محمد علي بدء يتخذ مواقف استقلالية تغفل السلطان العثماني بل بدء ينازعه ويوسع باشويته على حساب الدولة العثمانية .

1 . عبد الرؤوف احمد عمرو : تاريخ مصر الحديث ، 1518 . 1900 ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ط 01 ، 2003 ، ص : 179 . انظر كذلك . لورانس : المرجع السابق ، ص : 130 .

2 . لطيفة محمد سالم : الحكم المصري في بلاد الشام 1831 ت 1841 ، سلسلة صفحات من تاريخ مصر ،العدد 14 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، العدد 14 ، 1999 ، ص : 21 .

تميزت هذه المرحلة بمعارضة سياسته التوسعية لمصالح الدول الأوروبية بل مواجهتها ما أدى إلى انهيار تلك السياسة وفي هذه المرحلة كذلك اخذ محمد علي يعمل على التخلص من التبعية للدولة العثمانية ومحاولة الانفصال بمصر وبما يحكمه من الولايات أخرى مع تكوين وحدة اقتصادية متكاملة فيما بينها تضم المنافذ والمواقع المؤدية إلى الطرق التجارية القديمة .

لذلك لم يكتف محمد علي بما منحه إياه السلطان من حكم جزيرة كريت تعويضا عما فقده في الحروب اليونانية ، بل طلب بضم سوريا إليه وهو أمل طالما ساوره دوما لأنها هي خط الدفاع الأول عن مصر ، لكن السلطان رفض مطلبه فدفع علي باشا بجيوشه بقيادة إبراهيم من معسكر الخانكه (العباسية) في 29 أكتوبر 1831الى الشام عبر العريش فغزة ، في ما عرف بحرب الشام الأولى ضد السلطان والت انتهت إلى استيلائه عليها و إقليم أظنة ، وبذلك تعدت حدود مصر جبال طوروس ، ولاصقت نهر الفرات ، إي أنها ضمت احد طرفي طريق تجارة الشرق القديم المار بالخليج العربي[1] .

*** / احتلال دمشق .**

عجل إبراهيم باشا وبعد الاستيلاء على عكا إلى تحصينها وعين لها حامية وأناب عنه في إدارة شؤونها رئيس ديوانه نجيب افندي ووزع المدافع في حيفا وغيرها من المدن الساحلية وما إن دعمه محمد علي بالإمداد والمؤن و القوات المدربة حتى عزم على التقدم إلى دمشق .

غادر إبراهيم باشا عكا في 09 جوان 1832 في جيش مؤلف من 18 ألف مقاتل ، منهم 9000 من قوات النظامية ، و 9000 من العربان المصريين و البدو السوريين و الدروز ، و معهم 24 مدفعا ، و في 15 جوان خرج لمواجهته والي باشا والي دمشق ، و تصادمت القوتان خارج المدينة و انهزم العثمانيون و تراجعوا لمدينة حمص ، و دخل إبراهيم باشا دمشق في 16 جوان و أقام بها 18 يوما ، وقام بترتيب الإدارة و أنش، نظاما جديدا ، و ديوانا مؤلفا من 20 عضوا أسماه ديوان المشورة . مختص بالنظر في

1 . للمزيد عن توسع محمد على في المشرق العربي ينظر : موسى موسى نصر : صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، مصر ، 1998 ، ينظر كذلك : فاطمة بن عيسى : تجربة محمد على في إقامة و حدة عربية بمساعدة الدول الأوربية و موقف الدولة العثمانية منها ، مجلة آفاق الفكرية ، المجلد 09 العدد 03 ، ديسمبر 2021 .

دعاوى المسؤولين و المواطنين ، و نصّب حاكما على المدينة ، و عيّن لها حامية عسكرية .

*** / معركة قونية .**

جهّز السلطان العثماني محمود الثاني جيشا قوامه 53 ألف مقاتل و عهد بقيادته للصدر الأعظم محمد رشيد باشا ، و في المقابل حشد إبراهيم باشا 50 ألفا من مقاتليه وعبر جبال طوروس في 23 أكتوبر 1832 حيث وصل منطقة زنيب واحتلّ مدينة أركلي بعدما غادرها الجيش العثماني ، و انتظر هناك 03 أسابيع ينظر موافقة أبيه علي باشا للتوغل في الأناضول و قد جاءت فعلا تلك الموافقة المتهورة من علي باشا في 13 نوفمبر 1832 ، لكنّه أوصاه أن لا يتجاوز حدود قونية .

دخل إبراهيم باشا مدينة قونية في 17 نوفمبر بعد ما علم أن الجيش العثماني قام بإخلائها ، و أخذ يستعد لمواجهة حاسمة مع الجيش العثماني خارج المدينة[1] فكانت معركة قونية في 18 نوفمبر 1832 التي انتهت بانتصار إبراهيم باشا ، و صار الطريق إلى الأستانة مفتوحا أمام جيش إبراهيم باشا حتى كاد يشرف على أبواب القسطنطينية وكان بإمكانه القضاء نهائيا على حكم آل عثمان غير أن بريطانيا وفرنسا كانت تفصلان دولة عثمانية ضعيفة حيث تستطيعان الحصول على مناطق نفوذ على حسابها على الدولة الفتية النشطة التي قد تعرقل نشاطها ومشاريعها في المنطقة .

تحت الضغط الانجليزي والفرنسي تمّ إجلاء المصريين على مناطق الأنضول أما سوريا فقد بقيت البلاد تخضع للحكم المصري حتى سنة 1840م ، وهي السنة التي جلى فيها المصرون عن الحجاز كذلك .

*** معاهدة لندن 1840 و نهاية تمرد محمد علي باشا .**

خشيت الدول الأوربية على مصالحها السياسية و الاقتصادية من تعاظم قوة محمد علي ، و اتفقت بان عليها إعادة الاستقرار لبلاد الشام و وضع حد لطموحات محمد علي باشا المتمرد على الدولة العثمانية الضعيفة ، و تجدد ذلك التفاهم بمعاهدة لندن التي باركتها الدولة العثمانية على ما فيها من أخطار مستقبلية على مصالح الدولة العثمانية ، و تتلخّص شروط هذه المعاهدة في أنه إذا خضع محمد علي في مدة عشرة أيام ، و ردّ كريت و الأماكن المقدّسة ببلاد العرب و أظنة و الشام ، أعطته

1. السيد فرح : حروب محمد علي ،مطبعة المتوكل ، القاهرة ، ط01 ، 1945 ، ص : 12 .

الدولة ولاية مصر وراثية و ولاية عكا مدة حياته ، و إلا أخضعته الدول بالقوة ونظرت في أمره من جديد [1] .

و مما جاء في تلك المعاهدة أيضا :

. منح محمد علي و خلفاءه حكم مصر بالتوارث ، مع احتفاظه بالمنطقة الجنوبية لبلاد الشام بما فيها عكا مدى الحياة .

. يدفع محمد علي جزية سنوية للباب العالي .

. تسري على مصر و ولاية عكا القوانين العثمانية و تجبى الضرائب باسم السلطان العثماني .

. تشكل القوات المصرية البرية و البحرية جزء من الجيش العثماني .

. يتكفل الحلفاء الأوربيون بالإشراف على تنفيذ محمد لتلك الشروط ، و يستعملون القوة بموافقة السلطان في حال رفضه لتلك الشروط أو التمرد عليها .

. يحق للسفن الانكليزية و الروسية و النمساوية الدخول إلى المضايق لحماية استانبول إن تعرضت لاعتداء من طرف جيش محمد علي .

. قطع المواصلات بين مصر و بلاد الشام و مراقبة تنقل الذخائر و المؤن الحربية بين المنطقتين [2] .

. وقوف الحلفاء الأوربيين مع السلطان العثماني في حالة تعرض عرشه أو عاصمته للخطر من قبل محمد علي .

ج / تمرد الحركة الوهابية بالحجاز .

لم يلعب الحجاز دورا هاما في الشؤون العربية أو الدولية في أثناء الألف سنة بعد خلافة الراشدين وفي عهود العباسين و الأمويين و الفاطميين لم يكن الحجاز سوى ولاية نائية تقع على هامش الدولة الإسلامية مترامية الأطراف وقد عاش الحجاز إلى وقت قريب على مواسم الحج خاصة ، و عرف بفقره للأراضي الزراعية وأهل البلاد عامة من بدو رحال .

1 . محمد صبري : تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط 01 ، 1926 ، ص : 76 .

2 . الغالي غربي : المرجع السابق ، ص : 192 .

كانت أول هزة فكرية اجتماعية جعلت البلاد تستفيق من سباتها ، ما حدثت على يد النجديين بزعامة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، ثم الثورة السياسية بزعامة محمد بن سعود مؤسس البيت الحاكم في السعودية .

جاءت الدعوة الوهابية بداية ظهورها منتصف القرن الثامن عشر كحركة إصلاح دينية مجال دعوتها هو المجتمع قبل الدولة، فهي من الحركات التي انتهجت التغيير من القاعدة وليس التغيير الفوقي الذي تمارسه السلطة الحاكمة، لقد قامت الحركة الوهابية في بدايتها على الدعوة لبعث إسلامي جديد ، ننقي الإسلامي مما علق به من شوائب و خرافات و بدع مست جوهر العقيدة الإسلامية ، ثم اتحدت من الحركة السعودية السياسية ، لتقوم على الدين و السيف ، وهذا الاتحاد بين القوة العسكرية و الروحية أدى بالوهابين إلى النصر ، لعل أهم سبب من أسباب انتشار الدعوة الوهابية، عسكرياً أكثر منها سلمياً، أنها نشأت في أرض خالية من الأمراء والجيوش، وبعيداً عن أعين الدولة العثمانية، و أن ابن عبد الوهاب بعد انتقاله إلى الدرعية أوضح لأميرها محمد بن سعود أن نجد ميدان مفتوح أمامه لكي يمارس فيه نشاطه [1] .

استعان الوهابيون بالقوة العسكرية لآل سعود لمحاربة الطقوس الغريبة عن الدين الإسلامي ، ومن جملة البدع التي كان يحاربها تقديس الأولياء وطلب شفاعتهم وزيارة القبور وغيرها من البدع ، بل إنّ الدعوة الوهابية كان منطلقها في الحركة هو تكفير عباد القبور ومن وقع في الشركيات نحو الدعاء والذبح والاستغاثة بغير الله تعالى، واعتبروا في بعض الأحيان بعض المظاهر .وان كانت تافهة .بدعة وأغلظوا في محاربها مثل التدخين ولبس الحرير والتمتع بالكماليات ، كما حاربت العادات الغربية الدخيلة عن المجتمع الحجازي ، فكانت حربه ضد هؤلاء حربا شديدة [2].

طبق الوهابيون أحكام الشريعة في الكثير من المجالات ، كقتل القاتل و قطع يد السارق ، و كان كل فرد يعتنق الفكر الوهابي يصبح جنديا في الجيش ، و قد تمكنت من السيطرة على الرياض سنة 1773م في أواسط نجد و التي أصبحت فيما بعد

1 .ياسين بن علي- خروج الوهابية على الدولة العثمانية- مجلة الزيتونة – العدد 17 ، ص : 13

2 .لمعرفة المزيد عن الحركة الوهابية ، و ما لها و ما عليها ، في الجوانب الفكرية و السياسية عد إلى : محمد خليل هرماس : الحركة الوهابية ، دار الكتاب العربي ، ، دون تاريخ .

عاصمة الوهابيين ،ومن أواسط شبه الجزيرة العربية اتجهت حركتهم شرقا ،وفي مطلع القرن ال20 وصلت حركتهم إلى العراق وبعض مناطق بلاد الشام وهاجمت الجيوش الوهابية مدينة كربلاء ونجد وخربوهما و أزالوا منها القبور التي كان الناس يكرمونها ويقدسونها ، ثم جاء دور بلاد الشام فبلغت جيوش الوهابين مدينة دمشق في 1808[1] .

لقد استولى الوهابيون على رفعة جغرافية هامة وبسطوا نفوذهم على الحجاز والعراق ، في تلك الظروف استغلّ السلطان العثماني محمود الثاني سخط قطاع والواسع من المسلمين على تصرفات الوهابيين تجاه نلك المناطق خاصة بعدما أزالوا القباب و الأضرحة و أزالوا ما على قبر رسول الله صلى الله عليه و سلّم من الزخارف و الزينة ، و اتهمت الحركة بالزندقة و الكفر[2] .

استثمر الباب العالي ذلك التذمر الواسع فطلب السلطان (محمود 2) من محمد علي باشا بمصر أن يجهز حملة عسكرية لتأديبهم ، وقد أسفرت الحلمة الأولى 1818م عند تهديم العاصمة الوهابيين تهديما كليا ، و أنزال عقوبة الإعدام بعبد الله بن سعود القائد السياسي للحركة الوهابية ، و نفي عائلة آل سعود المالكة ،وكان ذلك نهاية الدولة السعودية الأولى (1744. 1818.)

استعاد الوهابيون نشاطهم و سيطرتهم عند مطلع القرن 20 وكان بطلهم الشاب عبد العزيز بن سعود ، هو زعيمهم و الذي كان قد لجاء إلى الكويت ومن هناك اندفع على رأس كتيبة عسكرية نحو الرياض عابرا الصحاري الفاصلة بينها ودخلها ليلا ، وقتل وليها وحرسه وثبت إقدامه في عاصمة أجداده ، و كان ذلك عام 1902 ولكي يوطد ركائز حكمه و يوحد بين أتباعه شرع عبد العزيز في تعبئة القبائل البدوية وإخضاعها لمبادئ الحركة الوهابية وقوانينها محملا إياها مسؤولية تجنيد عدد معين من أفرادها كجزء لا يتجزأ من الجيش .

لقد تمكّن الوهابيون و شريكهم السياسي آل سعود من إعادة بناء دولتهم مستغلين انهيار الدولة العثمانية و عجزها على فرض سيطرتها على الحجاز[3] .

د / تمرد ظاهر العمر الزيداني في فلسطين (1772م-1775م) .

1. عمار هلال : مرجع سابق .
2. الغالي : المرجع السابق ، ص : 137 .
3. نفس المرجع ، ص : 138 .

كان حاكما على طبرية منذ 1733م بدأ يتوسع على الأقاليم المجاورة له، منح بعض التجار الأوربيين امتيازات في إقليمه وحاول التعاون مع علي بك لغزو الشام و اعترفت له الأستانة بحكم صيدا سنة 1772م وطلب المساعدة من روسيا ففشل وقضت عليه الأستانة سنة 1775م.

هـ / تمرد أحمد باشا الجزار (1775م1804م) .

كان قائدا عسكريا يتولى مدينة بيروت ودافع عنها أمام الروس بعد وفاة ظاهر العمر حصن عكا وكون جيشا مختلف العناصر وفرض الضرائب على الأهالي كما احتكر تجارة القطن ومنح امتياز لفرنسا، حاول السلطان العثماني عزله فبرزت شخصيته وقوته أمام الفرنسيين حينما حاولوا احتلال مدينة عكا سنة 1799م فبقي حتى وفاته سنة 1804م.

07 / الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية

بعد هزائم الجيش الإنكشاري خلال القرن 18م وبروز معالم الضعف الإداري والاقتصادي في أجهزة الدولة العثمانية من جهة ونجاح الثورة الصناعية في أوربا، اقتنع حكام الدولة العثمانية بضرورة الإصلاح والاقتباس من النظم الأوربية ومن أهم الإصلاحات نذكر:[1].

1/- إصلاحات السلطان محمود الثاني (1807م-1839م):

اهتم بإصلاح الجيش الانكشاري حيث نجح في القضاء عليهم أثناء الواقعة الخيرية1826م وكن جيشا حديثا عصريا على غرار الجيش الأوربي وأعلن في نفس الوقت عن تشكيل العساكر المنصورة المحمدية مستعينا بالأجانب لتدريب (الألمان والإنجليز) كما أنشأ مديرية الأوقاف المسؤولة عن موارد الأملاك الوقفية وفي سنة 1835م أنشأ وزارة المالية ومجلس دار الشورى العسكري وفي 1838م مجلس الأحكام العدلية.

1 .للمزيد عن الإصلاحات و التنظيمات العثمانية ينظر : انكه لهارد : تاريخ الإصلاحات و التنظيمات في الدولة العثمانية ، دار الزمان للطباعة و النشر ، https://www.thebookhome.com?b75244.

ينظر كذلك : قيس جواد العزاوي : الدولة العثمانية قراءة جديدة في عوامل الانحطاط ، ط 02 ، الدار العربية للعلوم ، بيروت لبنان ، 2003 .

2/- إصلاحات السلطان عبد المجيد (1839م-1861م) .

أ/ خط الشريف كلخانة : مجموعة إصلاحات صدرت باسم قصر كلخانة بالأستانة تضمنت المساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية ومن أهم بنوده:

- المحافظة على النفوس والأعراض وتوفير الأمن.
- إصلاح الإدارة والقضاء ومحاربة الرشوة.

ب/ خط الشريف همايون سنة 1856م :

جاء بعد حرب القرم ومؤتمر باريس 1856م وأكد على المنشور السابق فنص على:

* المساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية.

* الإبقاء على امتيازات المسيحيين في الدولة العثمانية * منح جميع الرعايا المسلمين الوظائف والمناصب دون تمييز * حق الطوائف الدينية في إنشاء مدارس مختلفة * إنشاء محاكم مختلفة تفصل بين المسلمين وغيرهم * إصلاح نظام السجون ووضع نظام لشرطة .* تكوين مجالس للولايات * حق الدولة في تجنيد غير المسلمين * إنشاء البنوك وإصلاح النقد لتوفير رؤوس الأموال * السماح للأجانب بامتلاك العقارات.

3/- إصلاحات السلطان عبد العزيز (1861م-1876م).

أ- قانون الولايات 1864م:

قسم البلاد إلى 27 ولاية لها مجلس إداري متعاون مع الوالي بهدف إشراك الأهالي في إدارة الولاية.

ب- إنشاء مدرسة قلطة بالأستانة يدرس بها المسلمون والمسيحيون باللغة الفرنسية لتكوين موظفين عصريين.

ج- إنشاء مجلة الأحكام العدلية اعتمادا على التشريع الإسلامية وهي قانون مدني إسلامي به 1851 مادة مستمدة من الإسلام والفكر الأوربي.

4/- إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني (1876م-1908م).

نتيجة للاضطرابات القومية في البلقان وتدهور مختلف القطاعات في الدولة ظهرت مطالب سياسية بضرورة الإصلاح السياسي[1] حيث طالب الصدر الأعظم منحة باشا السلطان عبد الحميد بالتنسيق مع المعارضة بضرورة إجراء إصلاحات فصدر أول

1 . مصطفى سعد نيفين : الشخصيات العربية في بلاط السلطان عبد الحميد الثاني 1876 / 1909 ، (السلطان عبد الحميد الثاني في الذاكرة العربية ، ج 01 ، ص : 361 .

دستور في الدولة العثمانية في 1876م نص على: - فصل السلطات في الدولة – ضمان الحريات العامة – إنشاء سلطة تشريعية مؤلفة من مجلسين (مجلس المبعوثان ومجلس الأعيان)، لم يدم هذا الدستور إلا فترة قليلة ففي أفريل 1878 م حل السلطان البرلمان لما أدرك الأهداف الحقيقية للمعارضة ورغم ذلك أعاد إصداره نتيجة للضغوط السياسية فسمي الإصدار الثاني بالمشروطية الثانية (حكم مقيد أو مشروط بدستور).

تقييم الإصلاحات:

لم تنجح إصلاحات القرن 19م رغم محتوياتها لأنها جاءت متأخرة أو كانت سطحية أو لصعوبات أو بتأثير الأجانب أو لعدم جدية المصلحين.

08 / المسألة الشرقية : مظاهرها و آثارها على المشرق العربي .

أ / مفهوم المسألة الشرقية .

المسألة الشرقية Eastern Question هي مجمل الصراع الذي دار بين الدول الأوروبية حول مسألة تقسيم أملاك الدولة العثمانية اثر ضعفها الجدال الذي دار في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومطلع القرن العشرين في أوروبا حول مصير مناطق الدولة العثمانية ومناطق الإسلام عموماً[1].

بدأ الحديث عن المسألة الشرقية عام 1774 مع الحرب الروسية التركية (1768-1774) بعد انهزام العثمانيين. إذ ساد اعتقاد أن انحلال الدولة العثمانية بات وشيكاً، فانخرطت القوى الأوروبية في صراع على السلطة لضمان مصالحهم العسكرية و الإستراتيجية والتجارية في أراضي الدولة العثمانية. استفادت روسيا القيصرية من اضمحلال الدولة العثمانية؛ بينما سعت كل من النمسا-المجر والمملكة المتحدة إلى الحفاظ على الوضع القائم لأن في ذلك مصلحتهما. وقد انتهت المسألة الشرقية بعد الحرب العالمية الأولى، التي كان أحد نتائجها انهيار الدولة العثمانية.

1 .لمعرفة خلفيات و تطورات المسالة الشرقية عد إلى : محمود ثابت الشاذليّ : المسألة الشرقيّة دراسة وثائقيّة عن الخلافة العثمانيّة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ 1 ،1989 م .

ب / أسباب المسألة الشرقية .

. ضعف الدولة العثمانيّة في هذه الفترة بسبب ضعف شخصيّات السلاطين، وانتشار الفساد والرشوة في الإدارة المركزيّة والأقاليم، وتدهور الجيش الإنكشاريّ وانتشار ظاهرة شراء المناصب.

. اختلال التوازن بين الدولة العثمانيّة وبين الدول الأوروبيّة الناهضة، فقد أثّر ذلك كثيراً في مستقبل الدولة العثمانيّة، حيث أدّى إلى تقسيمها وتصفيتها.

. ظهور عدد من القوميّات المسيحيّة الصغيرة في البلقان، ورغبتها في الاستقلال وعملها من أجل الانفصال عن الدولة العثمانيّة.

. تأثير هذه الأمور كلّها في سياسة الدول الأوروبيّة الكبرى التي ظهر بينها تنافس حادّ أدّى إلى ظهور المسألة الشرقيّة.

ج / مظاهر و أزمات المسألة الشرقية[1] .

* حملة نابليون بونابارت على مصر والشرق بين السنوات 1798 وحتى 1801 والمعروفة باسم الحملة الفرنسية .

و كانت تلك الفرنسية ألحمله على مصر من ابرز أحداث و مظاهر المسالة الشرقية ويرى بعض المؤرخين بها بداية فعلية للمسألة الشرقية حيث أظهرت وللمرة الأولى مدى ضعف الدولة العثمانية من جهة وإمكانية الهجوم عليها في أرضها والتغلب عليها مما أدى إلى فتح باب الصراع بين الدول الأوروبية و خاصة بين فرنسا وبريطانيا حول مصالح ممكنة لها في أرجاء مختلفة من أنحاء الدولة العثمانية.

* الأزمة اليونانية بين السنوات 1821 وحتى 1929 والمعروفة باسم حرب التحرير اليونانية .

استغل اليونانيين ضعف الدولة العثمانية فأعلنوا عن الثورة ضد الحكم العثماني فقد حقق الثوار اليونانيين مكاسب سريعة في بداية الثورة بحيث امتدت الثورة إلى معظم الجزر اليونانية فنتيجة لضعف ألدوله العثمانية من ناحية عسكريه طلب السلطان العثماني محمود الثاني من والي مصر محمد علي المساعدة لإخماد الثورة فاستجاب محمد علي لطلب السلطان العثماني مقابل منحه جزيرة كريت فجهز محمد علي

1. محمود ثابت الشاذليّ : المرجع السابق ، ص 123 ..

جيش بقيادة ابنه إبراهيم لإخماد الثورة اليونانية ففي عام 1824 نزلت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا في الجزر اليونانية وتقدمت بسرعة داخل اليونان مستخدمه أساليب قمعيه لإخماد الثورة وقد استطاع تحقيق ذلك[1].

على اثر ذلك تعاونت بريطانيا مع روسيا وفرنسا من اجل تهدئة الأوضاع وإخراج قوات محمد علي من اليونان ففي عام 1827 وجهت الدول الثلاث إنذارا للسلطان العثماني لسحب قواته من اليونان إلا انه رفض ذلك وفي نفس الوقت فشلت بريطانيا بإقناع محمد علي سحب قواته من اليونان فكان رد الدول الأوروبية مهاجمة الأسطول العثماني والمصري فدارت معركة نفارين البحرية بين أساطيل الدول الأوروبية والأسطول العثماني والمصري أسفرت عن إغراق الأسطولين العثماني والمصري فعلى اثر ذلك وافق محمد علي على سحب جيشه من اليونان وانتهت الحرب بين ألدوله العثمانية والدول الأوروبية بتوقيع اتفاقيه عرفت باسم معاهدة أدرنه عام 1829 والتي كانت أهم بنودها اعتراف السلطان العثماني باستقلال ذاتي لليونان.

* أزمة محمد علي باشا بين السنوات 1831 وحتى 1842 والمعروفة أيضا باسم حملة إبراهيم بن محمد علي باشا على الشام .

* حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية بين السنوات 1853 وحتى 1856 ومؤتمر باريس 1856.

سميت بهذا الاسم لوقوعها في شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود. نشبت هذه الحرب بين الدولة العثمانية بمساعدة فرنسا وبريطانيا ضد روسيا، تعتبر حرب القرم من أهم أزمات المسالة الشرقية بحيث بلغت المسالة الشرقية ذروتها في حرب القرم بحيث تحول الصراع في هذه الحرب إلى صراع أوروبي . أوروبي ووصل هذا الصراع إلى حد المواجهة العسكرية بين الدول الأوروبية خاصة بين روسيا وبريطانيا.

كان السبب المباشر لحرب القرم : مسالة الأماكن المقدسة في فلسطين. كانت الدولة العثمانية تعمل للحفاظ على التوازن بين المطالب الكاثوليكية من جهة (فرنسا) والمطالب الاورثوذكسية من جهة أخرى (روسيا) فقد كان لفرنسا حق حماية المسيحيين في الشرق وخاصة الأماكن المقدسة في فلسطين (كنيستي المهد والقيامة)،

1 . للمزيد عن هذه الحرب عد إلى : عمر طومسون، الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم 1853-1855، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1993 .

إلا إن روسيا أخذت تطالب هي الأخرى بذلك وأثارت مسالة امتلاك مفاتيح كنيسة المهد والقيامة أزمة خطيرة بحيث أرسلت روسيا مبعوث إلى الدولة العثمانية ليطالب بحق روسيا في حماية المسيحيين في الشرق وامتلاك مفاتيح كنيستي المهد والقيامة إلا أن الدولة العثمانية، وبتحريض من السفير البريطاني رفضت هذا الطلب[1] لان هذا الأمر يمس باستقلالها. فهكذا بات واضحا ان نشوب الحرب بين العثمانيين وروسيا أصبح مسالة وقت.

بدأت أحداث حرب القرم عام 1853 عندما قام الجيش الروسي باحتلال مولدافيا وفلاخيا (رومانيا اليوم) فردت الدولة العثمانية على روسيا بإعلان الحرب فهكذا بدأت حرب القرم.

من نتائج عن حرب القرم:

- أظهرت مدى ضعف الدولة العثمانية.

- نجحت بريطانيا في الحفاظ على ميزان القوى في القارة الأوروبية ومنع تقسيم الدولة العثمانية والوقوف في وجه الأطماع الروسية.

- نجحت فرنسا في إبقاء حقها في حماية المسيحيين في الشرق وامتلاك مفاتيح الأماكن المقدسة.

* الحرب الروسية العثمانية بين السنوات 1878 وحتى انعقاد مؤتمر برلين عام 1882.

نشبت الحرب الروسية العثمانية عام 1877 عندما اجتاحت الجيوش الروسية الأراضي العثمانية وانضمت إليها رومانيا وصربيا والجبل الأسود فاستطاعت روسيا احتلال أجزاء واسعة من الدولة العثمانية عندها اضطر السلطان العثماني التوقيع على صلح مع روسيا سمي بصلح سان ستيفانو عام 1877 نص على:

*- حصول رومانيا وصربيا والجبل الأسود على استقلالها عن الدولة العثمانية.

*- تفتح الضائق العثمانية في وجه الأسطول الروسي طيلة أيام السنة.

*- إنشاء دوله بلغارية المستقلة ذاتيا والتابعة اسميا للدولة العثمانية.

*- سيطرت روسيا على شواطئ البحر الأسود ومعظم مناطق أرمينيا الشرقية.

1. عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تأريخ أوربا عصر النهضة إلى الحرب الباردة، القاهرة، مطبعة المكتوب المصري لتوزيع المطبوعات، 2000، ص214

هكذا خسرت الدولة العثمانية معظم أملاكها في أوروبا إلا أن الدول الأوروبية الكبرى تدخلت عندما رأت المكاسب التي حققتها روسيا فطلبت عقد مؤثر دولي لبحث قرارات صلح سان ستيفانو فتم عقد مؤتمر دولي باشتراك الدول الأوروبية الكبرى عرف باسم مؤتمر برلين عام 1878 لقد شاركت في هذا المؤتمر كل من روسيا وفرنسا وايطاليا والنمسا و ألمانيا وبريطانيا.

وكانت قرارات المؤتمر ما يلي:

*- التأكيد على استقلال رومانيا وصربيا والجبل الأسود.

*- وضع إقليم بلغاريا الشرقية تحت إشراف السلطان بحيث يتمتع هذا الإقليم باستقلال ذاتي ويعين حاكم مسيحي من قبل السلطان.

*- تراجع روسيا عن المناطق التي حصلت عليها في صلح سان ستيفانو.

*- وضع إمارتي البوسنة والهرسك تحت إدارة النمسا على إن تبقيا تابعتين للدولة العثمانية.

*- إغلاق المضايق العثمانية في وجه جميع السفن الحربية لجميع الدول الأوروبية.

هكذا خسرت روسيا معظم مكاسبها التي حصلت عليها في صلح ستيفان.

و كان من نتائج الحرب الروسية العثمانية :

*- خسرت الدولة العثمانية معظم أملاكها في أوروبا .

*- نجحت بريطانيا وفرنسا بمنع روسيا من تحقيق إطماعها في الدولة العثمانية.

*- أصبح واضح للدول الأوروبية إن مسالة انهيار وزوال الرجل المريض هي مسالة وقت لان ألدوله العثمانية فقدت هيبتها على الساحة الدولية[1].

يضاف إلى هذه المظاهر الهامة مظهرين ثانويين وهما الحرب الأهلية اللبنانية 1863-64 وحروب البلقان الأولى والثانية بين السنوات 1908 وحتى 1912 عشية الحرب العالمية الأولى والتي تعتبر من مقدمات هذه الحرب في أوروبا.

1 .للمزيد عد إلى : ياسر عبد العزيز محمود : دور الامتيازات الأجنبيّة في سقوط الدولة العثمانيّة ، أم القرى ، مكة المكرمة ، 1422 هـ- 2001 م .

09 / النهضة العربية الحديثة .

أ / مفهوم النهضة العربية .

النهضة في اللغة من "نهض، والنهوض: البراح من الموضع والقيام عنه. نهض وينهض نهضاً ونهوضاً. و إنتهض أي قام.. والنهضة الطاقة والقوة [1]، وهي "نظرية الصعود من درجة إلى أعلى، أو هي إيصال العرب إلى مستوى الحضارة الكونية وهي "هبة مجتمعية تسعى إلى إكساب الحضارة القومية قدرتها على إنتاج المعارف والمهارات في تعامل متكافئ مع الحضارات الأخرى[2].

النهضة العربية أو اليقظة العربية، وحركة التنوير العربية هي حالة فكرية واجتماعية انتشرت في منطقتي مصر العلوية وسوريا العثمانية في القرن التاسع واتسع نطاقها لتشمل كلاً من: بغداد، وفاس، ومراكش، وتتفاوت آراء المؤرخين في تحديد التاريخ الفعلي لانطلاقة النهضة العربية، حيث قال بعضهم ومن بينهم ألبرت حوراني بأنها بدأت عام 1798م، وآخرون يؤكدون بأنها بدأت في سوريا عام 1832م بالتزامن مع دخول إبراهيم باشا إليها؛ وانتهت في عام 1914م بالتزامن مع اندلاع الحرب العالمية الأولى .

ب / عوامل النهضة العربية الحديثة .

هناك عوامل داخلية أبرزها حركات الإصلاح الإسلامي ، الجمعيات والأحزاب السياسية، سياسة التتريك ، أما العوامل الخارجية فمن أهمها انفتاح الوطن العربي على الفكر الأوروبي .الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام ، البعثات التبشيرية المحفزة للحركة التعليمية والثقافية وتنشيطها ، يضاف لذلك حركة الاستشراف .رغم اختلاف أهدافها .التي ترجمت التراث العربي الإسلامي و أعادت بعثه . [3]

ويمكن أن لخّص عوامل النهضة العربية الإسلامية و الحديثة في المحطات التالية :

1/ أثر الإصلاحات العثمانية إلى القرن 19م .

حيث نبهت الشعوب العربية على ضرورة الالتحاق بالتطور الأوروبي والشعور بالحرية.

---

1 . ابن منظور : لسان العرب، ج7، دار مصادر للطباعة والنشر ، بيروت، 1990 ص : 245.

2 . إسماعيل صبري عبدالله : ، نحو نهضة عربية ثانية ، الضرورة والمتطلبات، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ع161، 1992، ص : 4

3 . برهان غليون : اغتيال عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت: ، ط 06 ، 1992، ص : 19 ز ما بعدها ..

02 / دعوة جمال الدين الأفغاني الحسيني (1839م-1897م).

الذي نادى باقتباس عناصر التقدم من الحضارة الأوربية والاعتماد على الإسلام ومحاربة الاستعمار وتوحيد المسلمين (في إطار جامعة إسلامية) بديلة عن الخلافة العثمانية الضعيفة وقد نجح في نشر أفكاره عبر تلامذته منهم: محمد عبدو والذي عمل معه في باريس في تحرير جريدة العروة الوثقى وكان لحركته تأثيرا على اليقظة العربية الفكرية في المشرق العربي.

4/ إصلاحات محمد علي بمصر:

منذ 1805م شرع محمد علي في إصلاحات عديدة متأثرا بأوربا ومبادئ الثورة الفرنسية.

وقد كان لحركة محمد علي دورا هام في يقظة مصر أولا فكريا وسياسيا فظهر بها زعماء سياسيون منهم مصطفى كامل (1874م-1908م) الزعيم الوطني صاحب صحيفة اللواء و مؤسس الحزب الوطني 1907م أما في سوريا فقد قامت نهضة الفكرية و سياسية عن طريق نخبة مثقفة عملت على إيقاظ الضمير العربي .

وقد كان للصحافة العربية دورا هام في النهضة العربية في المشرق على يد جماعة من المفكرين والأدباء منهم :جورجي زيدان مؤسس دار الهلال وسليم بشار مؤسس جريدة الأهرام عام 1875م وفارس نمر مؤسس مجلة المقتطف 1876م فضلا عن أدباء ألفوا الكتب منهم: محمد كرد علي وفارس الخوري والشيخ الطاهر الجزائري-عبد الرحمان الكواكبي أما في العراق فقد ظهرت نهضة ويقظة نتيجة لعوامل مختلفة كانتشار الصحافة والطباعة في عهدي داود باشا ومدحت باشا.

كذلك دور مدارس النجف التي اهتمت بإحياء التراث العربي الذي بعثه المفكرون أمثال : شهاب الدين الألوسي صاحب تفسير القرآن الكريم وحفيده محمود شكري الألوسي صاحب كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب، إضافة إلى مساهمة شعراء واد الرافدين في إذكاء الروح العربية أمثال : معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي اللذين نددا بفساد الحكم العثماني وطلبا بحكم نيابي وتحقيق الإصلاح الاجتماعي .

05 / القومية العربية في المشرق العربي.

نتيجة لنجاح النهضة العربية ظهرت القومية العربية ومرت بعدة مراحل منها بعث التراث العربي من خلال إحياء اللغة العربية وآدابها القديمة وتراثها الفكري في إطار الحركة الأدبية الرومانتيكية فنشأت المدارس العربية مثل ما أنجزه بطرس

البستاني – وناصف اليازجي وابنه إبراهيم اليازجي فأنشأ البستاني جريدة نفير سوريا وجريدة الجنان شعارها الوطنية منالإيمان كما نشأت جمعيات علمية أدبية مختلفة أشهرها:

أ/ الجمعية العلمية السورية1847م .

هدفها نشر العلوم والفنون دون السياسة اعترفت بها الأستانة عام 1867م ضمت 150 عضو من مختلف الطوائف العربية (إسلامية ومسيحية) منهم: حسين بيهم – سليم البستاني- إبراهيم اليازجي- محمد أرسلان وغيرهم لها مجلة شهرية (مجلة العلوم) .

ب/ جمعية الآداب والعلوم: أنشأها بطرس البستاني وناصف اليازجي 1848م .

ج/ جمعية المقاصد الخيرية1878م: نشأت بإيعاز من مدحت باشا ترأسها عبد القادر قباني كان هدفها ظاهريا مناهضة التعليم المسيحي.

وكذلك جمعية شمس البر 1869موجمعية زهرة الآداب 1873م وجمعية باكروة سوريا (النسوية) 1881م .

أما في مصر فقد ظهرت جمعية العهد المصري 1859م والجمعية الجغرافية الخديوية 1875م وجمعية المعارف 1868م طبعت كتبا تراثية مثل : كتاب تاج العروس-البيان والتبيين.

برز خلال هذه الجمعيات عدة أدباء منهم : رفاعة رافع الطهطاوي في كتابه: التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية .

ج / مظاهر النهضة العربية[1] .

***حركات الإصلاح الإسلامي .**

ظهر عدد من الحركات الإسلامية في الوطن العربي نهضت بالعرب والمسلمين، وخلصتهم من عوامل التخلف التي أُلصقت بهم نتيجة تفشي البدع والخرافات بينهم، وحرصت حركات الإصلاح الإسلامي على ما يأتي :

. الحفاظ على وحدة المسلمين من خلال التمسك بأحكام القرآن الكريم، والسنة النبوية، والعودة إليهما في مختلف أمور الحياة .

1 . للمزيد عد إلى : ضيف الله محمد لخضر : محاضرات في النهضة العربية الحديثة ، ديوان المطبوعات لجامعية الجزائر ، ط01 ، 1981 .

. تخليص الدين الإسلامي بما أُلصِق به من شوائب وأكاذيب لا تمت له بصلة على مر العصور .

. الحث على الجهاد، وفتح أبوابه على مصراعيها .الحث على مقاومة الاستعمار والدعوة إلى التخلص منه [1] .

***الاتجاه الوطني .**

جاء الاتجاه الوطني بناءً على مجموعة من المعاني الوطنية؛ ومنها: حب الوطن، والتمسك به، والانتماء إليه، ومن بين العوامل التي ساهمت في قيام الاتجاه الوطني انتشار التعليم .

. إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، للانفتاح على الحضارة الغربية؛ وأخذ العلم والاقتصاد عنهم .

. نشاط حركة الترجمة والتأليف .

***الاتجاه العربي الإسلامي .**

يعتبر الربع الأخير من القرن التاسع عشر من أكثر المراحل خطورة في حياة الدولة العثمانية؛ حيث كانت في طريقها نحو الزوال والتدهور والانحدار وتعرضت لمجموعة من العوامل التي دفعت بها إلى التجزئة، وإلى انفصال ولاياتها، وبالتالي تفككها، وأُجبر السلطان عبد الحميد خلال الفترة الأولى من حكمه على قبول دستور مدحت باشا؛ إلا أنه بعد فترة وجيزة أصدر قراراً بحل البرلمان، وتجميد الدستور إلى أجل غير مسمى، وعمل السلطان عبد الحميد جاهداً على تثبيت دعائم حكمه من خلال تبني حركة الجامع الإسلامية التي أسسها جمال الدين الأفغاني .

*** ظهور ملامح صناعية و اقتصادية وسياسية .**

شهدت المنطقة تطوراً ملحوظاً في القطاعات الاقتصادية والسياسية والصناعية، حيث بلغ عدد العاملين نحو 5000 عامل في قطاع المنسوجات، وكانت مدينة حمص من أكثر المناطق ازدهاراً في هذا السياق، حتى سُميت بمانشستر السورية .

1 . علي المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، 1798 . 1914 ، الاتجاهات الدينية و السياسية و الاجتماعية و العلمية ، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1980 ، ص ، ص : 14 ، 17 .

*** إنشاء المكتبات والجامعات والمسارح .**

تخللت مرحلة النهضة إنجازات كبيرة وعظيمة في إعادة فتح المكتبات السابقة وتنظيمها؛ ومنها: المكتبة الظاهرية في دمشق عام 1880م، وتحوّلت في الوقت الحالي وأصبحت دار الكتب الوطنية، كما تأسست المكتبة الأمريكية، وجامعة القديس في بيروت، وظهر المسرح العربي لأول مرة في تلك الفترة بفضل أبي خليل القباني.

د / رواد النهضة العربية الحديثة.

من أبرزِ أعلامِ النّهضة العربيّة ورجالاتِها الذين يعود لهم الفضلُ في قيامها والحثّ عليها: الأمير عبد القادر ، أحمد لُطفي السّيد، العربيّ التّبسي، الفضيل الورتيلاني، بطرس البستانيّ، جمال الدين الأفَغَانيّ، الشيخ محمد عبد الوهاب محمد علي باشا الكبير حمزة شحاتة، عباس محمود العقاد، عبد الحميد بن باديس، عبد الرّحمن الكواكبيّ، مصطفى لطفي المنفلوطيّ، محمد البشير [1] الإبراهيميّ، شيلي شميل، نيقولا حدّاد، محمد بن العنابي ، الإمام محمد عبدُه ،أبو رأس النّاصري.أبو الأعلى المودودي ، الإمام حسن البناء ، شكيب ارسلان ، خير الدين التونسي الشيخ عبد الكريم الخطابي ، عبد العزيز الثعالبي ، الشيخ محمد السنوسي .

للنهضة العربية الحديثة ميادين و تيارات متعددة ، و كل ميدان أو تيار يمثله رائد أو أكثر ، ولكل تيار رموزه وأفكاره التي تميزه عن باقي التيارات، و سنقتصر على عدد من الميادين و عدد من الرواد.

هناك التيار الديني والقومي - حيث كانت بداية تشكله في أواخر القرن الماضي- والليبرالي والاشتراكي وكان عصر النهضة يزخر بالكثير من الرواد النهضويين ، وسوف نعرض لثلاثة نماذج نهضوية مثلت الخصوصية العربية والإسلامية.

01 .رفاعة ر افع الطهطاوي 1801 – 1873 .

ولد في فترة كان التخلف والتأخر سمتان واضحتان للمجتمع العربي والإسلامي، درس في الأزهر، ومن بعد درّس فيه بين (1817 - 1824)، ثم أرسل ضمن البعثة التي ذهبت إلى فرنسا من قبل محمد علي باشا حاكم مصر آنذاك لمدة خمس سنوات (1826 - 1831)، والتي كان هدف محمد علي باشا منها اكتساب معارف وعلوم فرنسا والاستفادة

1 .لمعرفة المزيد عن النهضة العربية الإسلامية و مختلف روادها و أعلامها عد إلى : محمد رجب البيومي : النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، ج 01 ، دار القلم دمشق ، دار الشامية بيروت ، ط01 ، 1995 .

منها لأجل بناء دولة حديثة، ويمكن اعتبارها من أهم أحداث حياته، وكان دور الطهطاوي فيها دور الشيخ في البعثة، وحيث أيد سفره ودفعه لذلك أستاذه الشيخ حسن العطار (1766 - 1835) الذي كان في زمانه من الشيوخ المستنيرين في الأزهر، لم يقصر الطهطاوي دوره فيها على دور الشيخ فقط، بل سعى للاستفادة من هذه العلوم والمعارف حتى أصبح أهم شخصية في البعثة. ففي البعثة ألف الكتب وترجم أخرى، و قد أشاد بالتقدّم لأوربي و الأسباب التي أوصلته لذلك الرقي الحضاري ، و أكّد على أهمية الصحافة كوسيلة لنقل المعرفة و الأفكار بين الناس[1] .

بعد عودته من فرنسا تولى في الحكومة المصرية عدة مناصب، وألف بعضاً من كتبه وترجم أخرى، وأقام المؤسسات التربوية والفكرية، وبعد مجيء الخديوي عباس الأول نفي إلى السودان لمدة أربعة سنوات (1850 - 1854)، ورجع في عهد الخديوي سعيد، اهتم بصورة واضحة بمسائل الفكر والاستفادة من معارف وعلوم وتنظيمات أوروبا، فاهتم بالسياسة والقضاء والفقه واللغة والتاريخ والقانون والإدارة والتربية وأبرز كتبه:

. تخليص الإبريز في تاريخ باريز، وهو خلاصة رحلته إلى فرنسا.

. مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، ويهتم بقضايا الفكر.

. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، وهو كتاب تاريخي في سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم

. المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، في التربية.

. جمل الأجرومية ، في اللغة العربية.

وله ترجمات أبرزها:

. نبذة في تاريخ لإسكندر الأكبر.

. كتاب (دائرة العلوم في أخلاق الأمم وعوائدهم .

. القانون المدني الفرنسي.

. قانون التجارة.

1 . رافق عبد الكريم : مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 01 ، 1980 ، ص : 485 .

اهتم بصورة واضحة بقضايا الوطن وركز فكره عليه، لم يدعُ إلى عزلة العرب والمسلمين عن معارف وعلوم وحياة الآخرين، ولاسيما أوروبا آنذاك، فكان يرى أن معرفة علومهم ومعارفهم تأتي بالفائدة على مجتمعنا العربي، ودعا للمواطنة بمعنى المطالبة بالحقوق التي للفرد من قبل وطنه وتأدية الواجبات التي عليه تجاه وطنه، دعا إلى أن يكتسب المجتمع حريته، ودعا إلى سن القوانين التي تحفظ لأفراد المجتمع حقوقهم، ودعا إلى العمل المنتج والعدل والمساواة، وإلى احترام المرأة وإعطائها حقوقها ومن هذه الحقوق عملها، وإلى الأخذ بالعلم واعتباره من أهم الأمور التي ينبغي الاشتغال بها وليس فقط معرفتها، وإلى تبني الحكومة الاهتمام بالتعليم فهو طريق التمدن والترقي، وإلى عدم طبقية التعليم، وإلى التربية حيث بها تكتسب الآداب والمعارف.

إلا أنّ طابع الصفوة أو النخبة الذي ميز مدرسة رفاعة الطهطاوي جعل تأثيرها محصورا في طابع الدولة فقط ،و موقفه غير الثوري من الظاهرة الاستعمارية التي اجتاحت العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة أبعدها عن الطابع الشعبي الثوري الذي يمكّنها ، و يتجلى لنا ذلك في انحياز بعض من رموزها إلى جانب الحكومة المصرية إبان الثورة العرابية[1]1881 .1882 .

02 . جمال الدين الأفغاني 1838 – 1897 .

عاصر الأفغاني الهجمة الاستعمارية العربية على العالم الإسلامي في الثلث الأخير من القرن 19 ، كان منذ صغره يتميز بصفات ذاتية علمية ونفسية، فوصل إلى النجف الأشراف مع والده عام 1850م، ودرس فيها لمدة أربع سنوات، توجَّه بعدها إلى الهند ثم إلى مكة عام 1857 ثم إلى طهران من جديد مروراً بكربلاء والنجف الأشراف، ثم إلى أفغانستان حيث تقلد منصب الوزير الأول في دولة محمد أعظم خان، وعاش الصراعات الداخلية التي كانت موجودة هناك آنذاك إلى أن فقد منصبه نتيجتها، ثم ذهب إلى الهند عام 1868، وفرض عليه حصاراً من قبل الحكومة الإنجليزية يمنعه من التحرك، بعدها رُحّل من قبلها إلى السويس وانتقل بعدها إلى القاهرة حيث وصلها لأول مرة عام 1869 .

1 . الغالي غربي : المرجع السابق ن ص : 236 .

اجتمع بطلاب العلم هناك ثم انتقل إلى الأستانة في نفس العام حيث عين فيها عضواً في المجلس الأعلى للمعارف، وتسنى له ممارسة النشاط السياسي والفكري ومن ثم غادرها إلى مصر عام 1871 فنشط هناك سياسياً وفكرياً كعادته فأنشأ الحزب الوطني الحر والذي كان شعاره مصر للمصريين، والتقى به محمد عبده وكذلك اجتمع مع الطلاب في الأزهر، وأثر في الحياة السياسية والفكرية عبر تلاميذه الذين كانوا حوله، وكتب في صحيفة التجارة، وفي خضم الأحداث السياسية نفي الأفغاني عام 1879 من قبل الخديوي محمد توفيق باشا إلى بمباي، ثم توجه إلى فرنسا عام 1883، وأقام فيها ثلاث سنوات حيث اصدر عام 1884 مجلة العروة الوثقى بمساعدة الشيخ محمد عبده والذي جاء من بيروت بطلب من الأفغاني، واصدر من المجلة 18 عدداً ثم توقفت[1].

رجع إلى إيران عام 1886، ثم غادرها إلى موسكو عام 1887 بدعوة من الشاه حيث اختلف معه، ومن موسكو إلى ميونيخ ثم مجدداً عاد إلى طهران عام 1890، ثم أخرج منها إلى العراق عام 1891، وفي عام 1892 سافر إلى الأستانة بطلب من السلطان عبد الحميد لكي يبقيه في قبضته إلى أن توفي فيها، وقيل إنه مات مسموماً.

تميزت حياته كما ذكرنا بالأسفار الكثيرة في العالم الإسلامي وإلى خارجه مما أعطاه معرفة بالمجتمع الإسلامي وكانت له علاقات كثيرة سواء مع الحكومات أو الأفراد، فتارة علاقات جيدة مع الحكومات، وتارة سيئة، فهم يحتاجونه ويخافون منه، والتقى مع عدد كبير من العلماء والفقهاء والسياسيين والشخصيات المهمة، ولم تنحصر أفكاره وتأثيراته عليهم فقط بل امتدت إلى عامة الناس مما أتاح لأفكاره الانتشار في كل أنحاء العالم الإسلامي، يعتبر مفكراً ومصلحاً، له صفات نفسية عالية، فكان ذكياً، ويمتلك استعدادات عالية، ولديه قدرة على التأثير فهو خطيب بارع، وكان يمتلك ثقافة إسلامية ووعي سياسي ومعرفة بالعصر الذي يعيشه وبأوضاع المسلمين، كان يعرف أكثر من لغة، له تلاميذ كثير أبرزهم محمد عبده سعد زغلول، البارودي، أديب إسحاق،

1. لمعرفة المزيد عن النهضة العربية و روادها عد إلى : علي المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، 1798. 1914 ،(الاتجاهات الدينية و السياسية و الاجتماعية و العلمية) ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1980 .

سليم نقاش، أنشأ جمعية أم القرى في مكة المكرمة وأتبعها بمجلة تحمل نفس الاسم، له تأثير على الشيرازي في فتوى التنباك المعروفة في إيران.

أهم فكرة ركز عليها الأفغاني في تصوره للنهضة اعتبار الإسلام دين و مدنية و إنسانية مزدهرة في كل نواحيها [1]، ودعا إلى نهضة الشرق بالتصدي للاستعمار عن طريق اكتساب الحرية والاستقلال، وهو صاحب دعوة الجامعة الإسلامية والتي تعتمد على الإسلام في وحدتها وذلك لمجابهة الاستعمار، ودعا إلى إعطاء العقل مكانته الصحيحة والاعتماد عليه في حياتنا، وإلى العلم الذي فيه خير البشرية، وإلى التغيير السياسي عن طريق الثورة، وإلى وحدة المسلمين شيعة وسنة، وإلى أن يعيش المسلمون وفقاً لما جاء به دينهم والرجوع إلى الإسلام الحقيقي، وحارب الصوفية، وكان يرى أن سبب تخلف المسلمين هو ابتعادهم عن الدين وليس الدين ذاته ، لم تكن كتاباته كثيرة له كتاب (الرد على الدهريين)، وكتيب (الإسلام والعلم) وهو رد على محاضرة أرنست رينان التي اتهم فيها الإسلام بعدائه للعلم.

03. محمد عبده 1849 – 1905 .

ولد في الريف ونشأ في أسرة تقاوم الظلم، درس العلوم الدينية من عمر الخامسة عشر، تعرف على الصوفية في وقت مبكر من عمره، ذهب إلى الأزهر عام 1866حيث درس فيه ومن ثم درّس فيه فيما بعد، التقى الأفغاني عام 1871 وعمل معه حتى عام 1879 حيث نفي الأفغاني وعزل الشيخ من منصب التدريس ثم عفا عنه الخديوي توفيق عام 1880، وتولى من بعدها رئاسة تحرير (الوقائع المصرية(، ثم نفي عام 1885 إلى بيروت، ومن هناك دعاه الأفغاني عام 1883 الذي كان في باريس للالتحاق به حيث أصدرا معاً مجلة (العروة الوثقى)، ثم عاد إلى بيروت عام 1885 حتى 1889 ومن بعدها عاد إلى مصر حيث عين فيها قاضياً ومن بعد عين في منصب مفتي الديار المصرية كما عمل في بعض الوظائف الحكومية، ومن خلال عمله ذلك كانت له إصلاحات كثيرة منها إصلاح الأوقاف والمساجد.

يعتبر من النهضويين والمصلحين العرب والمسلمين البارزين فعلاً، كانت فلسفته الإصلاحية تعتمد على العمل التربوي الذي أعطاه الاهتمام الأكبر ، له دوره الواضح

1 .رفاعة رافع الطهطاوي : مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية ، مطبعة شركة الرغائب ، القاهرة ، 1912 ، ص : 22 .

وأحياناً غير المباشر في التأثير على الحياة المصرية في عصره والفترة التي تليها على مختلف الأوجه، وذلك عن طريق عدد من تلامذته من قبيل محمد رشيد رضا، وسعد زغلول، وفتحي زغلول، ومصطفى عبد الرزاق، وقاسم أمين وطه حسين. تنقل الشيخ بين الأشعرية والمعتزلة إلى أن وصل إلى أشعري التوحيد معتزلي العدل، كان له أسلوب مختلف عن كثير من شيوخ الأزهر والذي اختلف معهم في بعض الآراء. قام بإصلاح بعض التنظيمات والمقررات في الجامع الأزهر، وسعى لإصلاح التحرير في اللغة العربية، كانت علاقته بالدولة العثمانية في فترة من فترات حياته غير جيدة.

كان يرى أن الإسلام لن يقف عثرة في سبيل المدنية ، و لكنه سيهذبها و ينقيها وستكون من أقوى أنصاره متى عرفته و عرفها أهله[1] دعا إلى تحرير العقل من التقليد، وإلى فهم الدين بصورته الحقيقية، وتحديداً إلى ما فهمه سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، رد على مدعي السلطة الدينية، و كان يرى أن الإسلام قادرا على استيعاب الحضارة الغربية و منافستها والسبق عليها إذا ما أعيد إحياؤه و فتح باب الاجتهاد فيه ، و هذا الإسلام المتنور قادر على أن يحمي العرب و المسلمين من اثر التدخل الأجنبي[2] ، ودعا إلى إخراج الإنجليز من مصر وإلى الإصلاح والتغيير الاجتماعي لا إلى الثورة كما كان يراها أستاذه الأفغاني، ولابد من استناد هذا الإصلاح إلى الدين، وأن يكون للأسرة دورها المهم في إصلاح المجتمع حيث يبدأ الإصلاح منها، وإلى الأخذ بالتربية والتعليم، وإلى المساواة بين الرجل والمرأة وإلى ترك المسلمين البدع والأفكار التي ألصقت بالإسلام بدون وجه حق، كان يرى أن الإسلام صالح لأن يكون أساساً للحياة الحديثة، وأن المسلمين بإمكانهم الاستفادة من علوم ومعارف أوروبا دون التخلي عن إسلامهم، وأن نهضة المسلمين والعرب لابد وأن تستند إلى الدين، له موقفه المعروف من السياسية.

للشيخ كتب أبرزها (الرد على هانوتو) و (الإسلام والنصرانية بين العلم والدين) الذي رد فيه على فرح أنطون و (رسالة التوحيد) وشرح وتعليق على كتاب (نهج البلاغة)، وله فتاوى معروفة وكثرة، وتفسير للقران الكريم، إضافة إلى كتاباته في الصحف والمجلات.

---

1. محمد كامل الخطيب : الإصلاح و النهضة ، ج01 ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ط02 1992 ، ص : 331 .

2. أحمد السماوي : الاستبداد و الحرية في فكر النهضة ، دار محمد علي الحامي للنشر ، ط02 تونس ، 1988 ، ص : 27 .

04 / عبد الرحمن الكواكبي.

ولد في 23 شوال سنة 1271هـ الموافق 9 يوليو 1855في مدينة حلب لعائلة لها شأن كبير. والده هو أحمد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي، والدته السيدة عفيفة بنت مسعود آل نقيب وهي ابنة مفتي أنطاكية في سوريا .[1]

يعد أحد رواد النهضة العربية ومفكريها في القرن التاسع عشر، وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي، اشتهر بكتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»، الذي يعد من أهم الكتب العربية في القرن التاسع عشر التي تناقش ظاهرة الاستبداد السياسي .

عندما بلغ عبد الرحمن الكواكبي الثانية والعشرين من عمره، الْتحق كمحرر بجريدة «الفرات»، وكانت جريدة رسمية تصدر في حلب، ولكن إيمانه بالحرية وروح المقاومة لديه دفعته لأن يؤسس هو وزميله السيد هشام العطار أول جريدة رسمية عربية خالصة وهي جريدة «الشهباء»، ولم تستمر سوى خمسة عشر عددًا حيث أغلقتها السلطات العثمانية بسبب المقالات النقدية اللاذعة الموجهة ضدها. وقد اشتغل الكواكبي بالعديد من الوظائف الرسمية، فكان كاتبًا فخريًا للجنة المعارف، ثم مُحرِّرًا للمقالات، ثم صار بعد ذلك مأمور الإجراءات (رئيس قسم المحضرين)، كما كان عضوًا فخريًا بلجنة القوميون. وكذلك كان يشغل منصب عضو محكمة التجارة بولاية حلب، بالإضافة إلى توليه منصب رئيس البلدية .

سافر الكواكبي إلى الهند والصين، وسواحل شرق آسيا وسواحل أفريقيا، كما سافر إلى مصر حيث لم تكن تحت السيطرة المباشرة للسلطان العثماني عبد الحميد، وذاع صيته هناك، وتتلمذ على يديه الكثيرون، وكان واحدًا من أشهر العلماء .وقد أمضى الكواكبي سنين حياته مُصْلِحًا وداعيةً إلى النهوض والتقدم بالأمة العربية ومقاومة الاستبداد العثماني، وهو الأمر الذي ربما ضاق به السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ذرعًا.

مؤلفاته.

1 .للمزيد عن مؤلفات و أفكار الشيخ عبد الرحمن الكواكبي عد إلى : عبد الرحمن الكواكبي : الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي ، تحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 1975 .

ألف العديد من الكتب وترك تراثاً أدبيا كبيراً من الكتب منها طبائع الاستبداد وأم القرى كما ألف العظمة لله وصحائف قريش وقد فقد مخطوطان مع جملة أوراقه ومذكراته ليلة وفاته ، له الكثير من المخطوطات والكتب والمذكرات التي طبعت. وما زالت سيرة وكتب ومؤلفات عبد الرحمن الكواكبي مرجعاً هاماً لكل باحث .

وفاته .

توفي في القاهرة يوم الجمعة 6 ربيع الأول لعام 1320هـ الموافق 13 يونيو 1902ودفن عند ، جبل المقطم . وقد زعم أقاربه أن عملاء للعثمانيين قد دسوا للكواكبي السم في فنجان القهوة، وهو أمر لم يتم التأكد منه.، رثاه كبار رجال الفكر والشعر والأدب في سوريا ومصر ونقش على قبره بيتان لحافظ إبراهيم :

هنا خير مظلوم هنا خير كاتب *** هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى .

عليه فهذا القبر قبر الكواكبي *** قفوا وأقرؤوا أم الكتاب وسلموا .

10 / المشرق العربي والحرب العالمية الأولى.

01 / أوضاع المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى .

قبيل الحرب العالمية الأولى كان السلطان عبد الحميد يعمل على إطفاء نار الفتنة والعنصرية الضيقة التي أججتها الحركة التتريكية من جهة ، و القوميون العرب من جهة أخرى ، فعمل على تقريب العرب منه لمواجهة الأخطار القادمة من أوروبا في عهد التحالفات .

من جهة أخرى طرحت ألمانيا إستراتيجية الشرق الأدنى[1] ، وهو تحويل الملحوظ في السياسة الألمانية ، و إتباعها في ذلك عدة طرق نحو الشرق ، وكان رجال السياسة والاقتصاد قد مهدوا لذلك بعدة دراسات لاستغلال آسيا الصغرى وسعت الحكومة

1 . إستراتيجية الشرق الأدنى : وهي سياسة ألمانية للتقرب من الدولة العثمانية لاستغلال أسيا الصغرى ، اقتربت ألمانيا من الإمبراطورية العثمانية لتجعل منها سوقا لبضاعتها ومجالا لاستثمار أموالها خصوصا أن مستعمراتها كانت محدودة مقارنة بالمستعمرات البريطانية والفرنسية وهذا ما أثار مخاوف بريطانيا التي خشيت من تركز ألمانيا بالقرب من قناة السويس وطريق الهند، فدخلت مع فرنسا في لسابق ضد ألمانيا للهيمنة على هذه المنطقة . انظر . انظر على محجوب ، العالم العربي الحديث والمعاصر . ط 01 ، دار محمد علي ، بيروت ، 2009 ، ص : 70 .

الألمانية للتأييد السلطان عبد الحميد الثاني[1] في سياسة الجامعة الإسلامية ، وبدأت ببعثات عسكرية نحو ألمانيا ، وصفقات شراء الأسلحة والمشاريع منها مشروع سكك الحديد .

ظهرت حركة الجامعة الإسلامية وهي محاولة الوصول بالشعوب الإسلامية إلى الحرية والتقدم اعتمادا على التعليم وإظهار مرونة الإسلام للشعوب الإسلامية واتحادها ضمن خلافة واحدة عثمانية إسلامية ، و تدين هذه الحركة بالكثير لرجال الإصلاح و النهضة أمثال جمال الدين الأفغاني الذي كان أبرز روادها و منظريها وعبد الرحمان الكواكبي ، و الذي فرق بين القومية العربية والجامعة الإسلامية و دعا إلى خلافة عربية و خلفية قرشي مقر حكمه في مكة

كانت فكرة القومية في أوجها قبيل الحرب العالمية داخل النخب العلمانية التركية حيث تشبث بها الفتيان الأتراك المنبهرين بالحضارة الغربية ، و الذين أرادوا بناء دولة تركية على الطراز القومي الغربي ، و سار بعض القوميين العرب خاصة المسيحيين منهم في المشرق العربي على ذلك المنوال .

لقد ظهرت حركة تركيا الفتاة وهي الآلية التي ساهمت في تطوير الفكر الطوارني و هي التي ونبتت في المحافل الماسونية تحت توجيه الصهيونية العالمية وكانت بدأت بالظهور في عام 1860م [2] ، و ضمت يهود الدونمة الذين كانوا يريدون تهديم الخلافة العثمانية وتجزئتها [3] ، وظهرت جمعية الاتحاد و الترقي في عام 1889م بين طلبة

---

1 . السلطان عبد الحميد : ولد عام 1842 م ، و هو ابن السلطان عبد المجيد في بداية عهده جرت الحرب العثمانية الروسية ، التي عمل على تلافيها سياسيا ، لكن مجلس لوزراء اتخذ قرارا أدى إلى نشوب الحرب التي انتهت سنة 1878 بخسائر فادحة للدولة العثمانية ، زادت من متاعب السلطان المصلح ، يعتبر السلطان عبد الحميد أعظم خليفة في عصر انحطاط الخلافة ، أدخل إصلاحات كثيرة على الإدارة و الجيش و التعليم لكن العوائق الداخلية ، والظروف الدولية كانت أصعب من أن يواجهها رغم ذكائه و مشاريعه ، في آخر عهده وصلت جمعية الاتحاد والترقي القومية للحكم 1908 وتم خلعه في ابريل 1909 إثر مؤامرة اشترك فيها اليهود و الاتحاديون ، ونفى من زوجاته و أولاده إلى سالونيك ، توفي سنة 1918 . انظر . عبد الحميد الثاني : مذكراتي السياسية ، 1891 . 1908 الهيئة العامة للكتاب ، الإسكندرية ، د. ت ، ص. ص : 11 . 15 .

2 . رأفت الشيخ ،تاريخ العرب المعاصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية ،مصر 1996م ، ص : 11..

3 . محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر لبلاد العراق ، المكتب الإسلامي ،الجزء 11 الطبعة الأولى ،بيروت ،1992م ،ص25-26.

المدرسة الطبية العسكرية في استانبول وكانت سرية ولما علم بها السلطان عبد الحميد اعتقل الكثير من منهم وفر آخرون لفرنسا وأسسوا جريدة في باريس سموها تركيا الفتاة و أخرى بجنيف أخذت اسم الهلال ، و كان تركيزها على وأحياء التراث التركي الشعر والأدب ، و قد وصلت جمعية الاتحاد و الترقي للحكم في 23 جويلية 1908 .

صدر الأوامر بانتخاب نواب يمثلون البرلمان الجديد وعدد نوابه 273 نائب 143 أتراك و130غير أتراك منهم 70 عربي ثم تم عزل الكثير من الموظفين والنواب العرب و عيّن مكانهم أتراك ، وغذت الصحف التركية سياسة التتريك ،وردت الصحافة العربية بالدعوة للقومية العربية ، و بدأت تتحول الدولة في عهد الاتحاديين من خلافة عثمانية إلى دولة تركية .

كان رد عرب المشرق بالمثل ، فظهرت جمعيات وصحف حدث على حركة القومية العربية من أبرزها : جمعية الإخاء العربي 1908م ، والمنتدى 1909م ، والعلم الأخضر 1912 م ، جمعية بيروت الإصلاحية ، جمعية البصرة الإصلاحية ، النادي الوطني العلمي في بغداد ، جمعية القحطانية في مصر ، جمعية العهد 1913 ، جمعية بيروت السرية – رابطة الوطن العربي في باريس – جمعية العلوم والفنون في بيروت أسسها بطرس البستاني و ناصف اليازجي الجمعية الشرقية أسسها النصارى يسوعيون – جمعية العلمية السورية النادي البغدادي الذي أنشأه الشباب اليهودي – المحفل الكاثوليكي – اتحاد الشبيبة الذي أسسه النصارى الأرثوذكس [1].

حملت تلك الجمعيات تارة صفة الأدب لتستر بها و أحيانا الدعوة إلى المؤاخاة بين العرب و الأتراك إلى إحياء التراث العرب و لغتهم، و من أبرز الصحف[2] التي ناصرت الحركة القومية وأيدتها في تلك الفترة 1908-1914 م جريدة المفيد بيروت ، المقتبس بدمشق ، كلمة حق بالأستانة ، الأهرام بمصر النهضة بغداد .

ظهرت أحزاب تدعوا لفكرة القومية العربية منها :

حزب اللامركزية الإدارية العثمانية ،عام 1912م.

.حزب الحرية و الائتلاف في البصرة [3].

1. محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص ، ص : 27 ، 28. ، أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ، ص : 09 17 .
2. انظر الجدول بالملحق الذي يبرز أهم الصحف القومية في تلك الفترة .
3. محمود شاكر : المرجع السابق ، ص : 28 .

برز بعض المفكرين العرب الذين نظّروا للقومية العربية و ألفوا في ذلك كتبا منهم نجيب عزوري المسيحي في كتابه "يقظة الأمة العربية "وعبد الرحمان الكواكبي في كتابه "ام القرى و"طبائع الاستبداد "وغيرها من المؤلفات .

جاء انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس في باريس يوم 18 جوان 1913 كنتيجة و تتويج للمساعي القومية العربية ،و ترأسه عبد الحميد الزهراوي و حضر أكثر من 360 من العرب القوميين المقيمين بباريس ، وكانت من أبرز مطالبه :

. اعتبار اللغة العربية لغة رسمية و إدراجها في مختلف مراحل التعليم .

. الحق بالمشاركة في تسيير الدولة و فتح المجال أمام العرب لاستلام مناصب حكومية رفيعة ، كولاة و وزراء .

. الإصلاح و الحكم المركزي.

. تطبيق الخدمة العسكرية محيا في أوقات السلم .

عارض في البداية الاتحاد والترقي الحكم الفعلي في الأستانة في البداية هذا المؤتمر ، لكن أمام الضغط الداخلي و الخارجي ، أصدر موسم 18 اوت 1913م بتنفيذ اتفاقية باريس ولكن بعد تحويرها وهذا ما أثار غضب القوميين العرب[1] .

02 / الصراع البريطاني العثماني في منطقة الخليج العربي .

عادت الدولة العثمانية مع بداية القرن العشرين . وخاصة بعد الانقلاب ووصول الاتحاد والترقي للحكم سنة 1908م . للاهتمام الخليج و لتوسيع سلطانها فيه و عملت على إرغام الشيوخ الحكام في تلك المنطقة على الخضوع لها من خلال فرض الضرائب وتجنيد الشباب في الجيش العثماني[2] ، وكانت بريطانيا قد عقدت اتفاقا سابقا خلال القرن 17 مع الشاه عباس الصفوى تعهدت فيه بحماية التجارة في الخليج العربي ، و عيّن ممثلا لها في بغداد ، والذي أخذ صفة القنصل البريطاني في نهاية القرن 18 م .

غدت المراكز التجارية الانجليزية في جنوبي العراق و القنصليات ذات سلطة ونفوذ ، حتى أصبح لها حرس خاص من أبناء العراق ومن الهنود ، وهذا ما جدد الصراع بريطاني عثماني حيث احتلت الدولة العثمانية جزيرة الزخنونبة في مياه الخليج ، و تقع

1 . يحي جلال : العالم العربي الحديث و المعاصر ، ج 01 ، المكتبة الجامعية الحديثة ، الإسكندرية 1995 ، ص ، ص : 217 ، 19 .

2 . رأفت الشيخ : المرجع السابق ، ص : 15 .

جنوب شرقي من الميناء العقير في جويلية 1908م ، واحتجت الحكومة البريطانية خوفا من احتلال باقي الناطق وذلك بواسطة لوثر lowther السفير البريطاني في الأستانة ، و في بداية رفضت الدولة العثمانية الخضوع ، ثم استجابت للضغط البريطاني خاصة تركيا كانت تعاني متاعب في البلقان وع روسيا و بالتالي انسحبت الدولة العثمانية من الجزيرة [1].

جرت مفاوضات بين بريطانيا والدولة العثمانية استمرت من 1911 إلى 1913م ، و ظهرت مواقف تفاهم ومواقف تصادم بين الدولتين ، لان الدولة العثمانية تنازلت عن قطر و البحرين وموافقة بريطانيا إبقاء الدولة العثمانية في الكويت إلا أن الدولة العثمانية سعت لإبقاء قطر خلال شهر جوان 1913م ، وبعد مد وجزر تم الاتفاق بين وزير الخارجية الدولة العثمانية إبراهيم حقي باشا و السير ادوارد جراي وزير الخارجية البريطاني وشمل مايلي [2] :

إعلان عام تمهيدي لمشروع المعاهدة .

مشروع اتفاق يتعلق بخط حديدي في اسيا الصغرى ويتكون من 12 مادة .

مشروع اتفاق يتعلق بالخليج العربي، ويخص الكويت وقطر والبحرين وتشكيل لجنة لتعيين الحدود .

مشروع اتفاق يتعلق بتشكيل لجنة من اجل تحسين الملاحة في شط العرب وهو يحتوي على 21 مادة وله ملحق .

كما احتوى على أربعة ملاحق تتعلق باتفاقات بريطانية كويتية لأعوام 1899م و1900م و1904م .

بالنسبة لقطر فقد نصت المادة 10 على أن تتنازل الدولة العثمانية تنازلا نهائيا عن كل ادعاء لها بالسيادة على شبه الجزيرة قطر على أن يتولى حكم شبه الجزيرة آل ثاني حكما وراثيا وتعهدت الحكومة البريطانية منع حاكم البحرين من محاولة ضم قطر إلى سلطانه .

نصمت المادة رقم 11 من الاتفاق المذكور على السماح لأهل البحرين بالنزول إلى جزيرة الزخنونية من اجل صيد اللؤلؤ ، ،ولم تنسحب القوات العثمانية من قطر حتى

1. محمود شاكر : المرجع السابق ، ص : 32 .

2. رأفت الشيخ : المرجع السابق ، ص : 15

صيف 1914م ، و اندلاع الحرب العالمية الأولى واستنجاد الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني بالقوات البريطانية التي بعثت قوة الإخراج حامية العثمانية عن قطر في 19 اوت 1915م [1].

03 / المشرق العربي أثناء العالمية الأولى .

اندلعت الحرب العالمية الأولى في جوان 1914 بين دول التحالف فرنسا بريطانيا و فرنسا ، من جهة دولتي الوسط ألمانيا و النمسا من جهة أخرى وانضمت الدولة العثمانية إلى دولتي الوسط في نوفمبر من نفس السنة ، و صدر بيان عثماني يدعو جميع المسلمين إلى إعلان الجهاد المقدّس ضد الحلفاء ، و رافق البيان قرار بإلغاء كل الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية[2] ، مما جعل منطقة المشرق العربي محطة اهتمام سياسي من طرفي الصراع لما تتوفر عليه من إمكانات اقتصادية و بشرية هامة ، و لما تمثله من موقع استراتيجي مؤثر في مسار الحرب العالمية الأولى .

04 / مراسلات الشريف الحسين مع الانجليز و العثمانيين .

أ / مراسلاته مع الانجليز.

أدرك الشريف حسين خلال إقامته ألإجبارية في استانبول ما كانت عليه الدولة العثمانية من ضعف ، فقر الاتصال بالبريطانيين لمساعدته على الاستقلال عن دولة الخلافة ، وكان للشريف حسين الثلاث أبناء منهم عبد الله الذي الميّال للسياسة والمؤامرات و الدسائس ، وعينه نائبا عن مكة في مجلس النواب العثماني وقد كلّفه للاتصال اللورد كتشنر في فبراير 1914 م ، كان اللورد كتشنر مندوبا سياسيا في مصر ، وحاول عبد اله معرفة موقف بريطانيا من الدولة العثمانية ، ولكن جواب كتشنر كان دبلوماسيا ، تأكيده إن انجلترا تحتفظ بعلاقات طيبة مع الدول العثمانية و تتالت زيارات بين الطرفين ، ولكن تلك المحادثة فتحت أعين انجلترا على اتساع الخلاف بين العرب و العثمانيين[3] .

بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وتعيين اللورد كتشنر وزيرا للحربية أراد معرفة رأي الشريف الحسين ، هل هو مؤيد للدولة العثمانية ام للبريطانيين ولم يرد ردا

1 . المرجع السابق ، ص : 21 .

2 . الغالي غربي : المرجع السابق ، ص : 254 .

3 . كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة ، أمين سعيد ومنير العلبكي دار العلم لملايين بيروت ط05 ، 1998 م ، ص :744 ، انظر كذلك جلال يحي : مرجع السابق ، ص : 515 .

حاسما وأعيدت المحاولة مرة ثانية في 21 اكتوبر 1914م ، مع وعده له إذا انحاز للحلفاء فإن بريطانيا ستؤمن له دولة مستقلة للعرب ، وجاء رده الشريف حسين بالموافقة لكن طلب وقت ليجد ذريعة المناسبة للنزاع مع الأتراك [1] وضرورة معرفة رأي رؤساء جمعيات العرب في الشام والعراق و مدي استعدادهم للدخول في المعركة .

جمع زعماء القوميون من أعضاء"جمعية العهد " جمعية العربية الفتاة في دمشق والعراق على وجوب الثورة و الاعتماد على مساعدة بريطانيا وقبول عرضها ووافقوا على زعامة الشريف حسين وبصورة عامة كانوا بحاجة إلى من يوحد صفوفهم ويقودهم ولن يستطيع ذلك إلا من كان ذا مكانة مرموقة [2] .

وضع القوميون المطالب التي ستكون أساس للمفاوضات مع بريطانيا وعرفت باسم ميثاق أو بروتوكول دمشق وتضمن النقاط التالية :

اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية (الشام العراق الجزيرة العربية ماعدا عدن).

إلغاء الامتيازات الأجنبية التي كان يتمتع بها الجانب في نطاق نظام الامتيازات في الدولة العثمانية .

إبرام تحالف الدفاعي بين بريطانيا والدول العربية المستقلة .

منح بريطانيا الأفضلية في النواحي الاقتصادية .

ب / مراسلات الحسين –مكما هون .

تكونت من عشر رسائل ، خمسة رسائل من مكماهون ، و خمسة من الشريف الحسين .

كانت الرسالة الأول من الشريف الحسين إلى السيد هينري مكماهون المندوب السامي لبريطانيا في مصر بتاريخ 14 جويلية 1915م ، وقد صدرت من مكة وتضمنت شروط الانضمام إلى بريطانيا وفق ميثاق دمشق ، ورد السيد هنري مكماهون على الشريف حسين بتاريخ 20اوت 1915 م ، وقد حاول التملص من مسالة الحدود وتعلل بأن هذا الأمر سابق لأوانه وان الحرب لم تنتهي و الأتراك لازلوا يحتلون هذه المناطق .

1 .زين العابدين شمس الدين نجم : تاريخ العرب الحديث و المعاصر ا ، ط 01 ، دار المسيرة ، الأردن ، 2011 م ، ص : 181 .

2 . محمود شاكر : المرجع السابق ، ص : 27 .

الرسالة الثانية لشريف الحسين بتاريخ 9 اوت 1915 م و حملت دهشته لهذا التردد والغموض فيما يتعلق بالحدود وانه مطلب شعبية وليست فردية ، وفي 24 أكتوبر يرد مكماهون بعد ان علمت بريطانيا أن هناك مشاعر عداء بين العرب والأتراك ، وان الجمعيات قد قيدت الشريف الحسين بمطالبها ، فأكد مكما هون أن بريطانيا تتعهد باستقلال العرب ضمن الحدود التي اقترحها الشريف باستثناء (مرسين و الإكسندرونة) لأنهما أقاليم تركية ، وأجزاء من بلاد الشام قرب دمشق وحمص و حماه وحلب لأنهم يقطنهم مسيحيون ، مع وعدم المساس بالاتفاقيات بين بريطانيا و الكويت وقطر و بغداد والبصرة [1].

في 15 نوفمبر 1915م بعث الشريف برسالة ثالثة إلى مكماهون وفيها وافق على استبعاد مرسين و أظنة ولكنه رفض إخراج الاسكندرونة ومناطق دمشق وحلب وحمص وحماة ، و أما بالنسبة للعرق فوافق على ترك الأراضي لمدة مؤقتة لقاء مبالغ مالية ، ورد مكما هون على هذه الرسالة في 13 سبتمبر 1915 م وكان رده مليء بالغموض و الإيجاز ، وتمسك بالمناطق الساحلية في الشام لأنها مرتبطة بمصالح فرنسية ، إما بغداد فتلتزم فيها بمبا حاث أخرى .

رسالة الشريف حسين الرابعة كانت بتاريخ ؤول جانفي 1916م ذكر رغبته في عدم الإساءة للعلاقة بين بريطانيا فرنسا ، وسيغض الطرف مؤقتا عن بعض المطالب ، ثم يطالب فيما بعد بريطانيا ، وترك مسالة الشام وعراق معلقتين إلى غاية انتهاء الحرب . و بذلك يدخل الحرب دون ضمانات مؤكد . وقد امتدح مكماهون في رده علي الشريف حسين في 30 جانفي 1916م عدم إحراج الشريف لبريطانيا في علاقاتها مع فرنسا .

وجاءت لرسالة الخامسة التي أرسلها الشريف حسين إلى مكماهون بتاريخ 18 فبراير 1916م ، وكان الرد عليها في 10 مارس 1916م ، وتمحورت حول الاستعداد للثورة .

و رغم أن الشريف الحسين لم يحصل على وعد قاطع لتعين حدود النهائية للدولة العربية المستقلة و لا على ضمانات لتنفيذ الوعود ، فقد وافق على خوض الحرب ضد الأتراك [2] ، ويمكن أن نجمل عناصر الاتفاق البريطاني العربي فيما يأتي :

---

1 . عمر عبد لعزيز عمر : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2007 ، ص : 179

2 . كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ص : 745 .

.تلتزم بريطانيا بتقديم المساعدة المادية و العسكرية للشريف حسين .
. استخدام الشريف حسين كل إمكاناته المادية و البشرية ضد القوات التركية .
. التزام الشريف حسين فإعلان الثورة العربية و التنديد بالأتراك علنا .
.تتعهد بريطانيا صراحة بالاعتراف بالخلافة العربية في حالة إعلانها من طرف الشريف حسين.
.الاعتراف باستقلال العرب ضمن منطقة معينة و حماية هذا الاستقلال .

ج / مراسلات الشريف الحسين مع الأتراك العثمانيين .

ابلغ عبد الله و فيصل أباهم حسين أن الاتحادين عازمون على خوض الحرب إلى جانب ألمانيا ، فقرر أن يحذر السلطان محمد من ذلك ، فأرسل له برقية في أوت 1914م محذرا فيها من مغبة الدخول الحرب ضد دول الوفاق القوية مشيرا إلى ضعف الدولة العثمانية بعد حرب البلقان و مستعرضا فيها حالة أوروبا والاتفاقيات القائمة بين دولها .

وكرر نفس التحذير إلى والي الحجاز وهيب باشا عند زيارته للشريف بالطائف وأشار له أن الدولة العثمانية ليس لها في هذه الحرب لا ناقة ولا جمل و أنهم محاطون بالدول العظمى البحرية وان تركيا ليست متصلة بألمانيا عن طريق البر وأكد أنها لا تستطيع المحافظة على بلاد العرب إذا دخلت الحرب وخاصة إن هذه الحرب حرب ألمانية تخص الألمان وحدهم دون العثمانيين[1] .

لم يأخذ السلطان بتحذيرات الشريف حسين ، و أعلن الجهاد ضد دول التحالف وبعث عدة برقيات يطلب من الشريف الحسين إعلان الجهاد ، وكان رد الشريف حسين انه يود ذلك لكنه يخشى من هجوم بريطانيا على الأراضي المقدسة وسيواصل الشريف الحسين سياسة كسب الوقت و بتجنيد العرب بدعوى الاستعداد للحرب حتى يتمكن من إعلان موقفه بصراحة[2].

1 . كليب سعود : المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين والعثمانيين 1908-1918 مكتبة الوطنية ط 01 ، 1997م ص ، ص : 109 ، 110 .

2 . يحي جلال : المرجع السابق ص : 502 .

05/ الثورة العربية 1916 .

اندلعت الثورة العربية يوم الاثنين 15 مارس 1916 ، و كانت في البداية محصورة في منطقة الحجاز ، و كانت الخطة العسكرية المتفق عليها مع بريطانيا أن تعلن في كامل بلاد الشام و الحجاز ، و يتزامن ذلك مع نزول الحلفاء في الإسكندرية ، ليكون الجيش العثماني بين نارين لكنّ الحلفاء تراجعوا عن تلك الخطة ن مما جعل الثورة تنحصر في البداية بالحجاز تمهيدا لتعمينها في كل المشرق العربي .

أ/ الأسباب غير المباشرة للثورة .

. حاول الشريف الحسين أن يظهر للعالم الإسلامي انه كان متمسكا بالولاء للدولة العثمانية إلى أن تولى الاتحاديون الحكم ، وأن نفوره منهم يرجع إلى أنهم حادو عن الدين و سلبوا سلطة السلطان و سرقوا أموال الدولة و أضاعوا أجزاء من ممتلكاتها ومحاولاتهم فرض سياسة التتريك على العرب بالقوة .

. إعمال القتل التي ارتكبت في الشام ، في حق زعماء عرب ، والتخوف من أن يحدث مثلها في الحجاز ،وان الاتحاديين عرّضوا استقلال الدولة العثمانية للخطر وانه لا سبيل إلى تلافي ذلك إلا باستقلال المشرق العربي ، و وزع الشريف حسين في ذلك منشورا في الدول العربية و حتى بعض الدول الإسلامية [1].

. كان الاعتقاد السائد أن الفوز في نهاية الحرب سيكون للانجليز و حلفائهم وسيستولون على أراضي الدولة العثمانية وبلاد العرب ومن جملتها . وهكذا يقع العرب بين أنياب الاستعمار الأوروبي .

. اعتقاد الشريف حسين أن حكّام الدولة العثمانية نزعوا كل ثقة منه ومن أولاده وأنهم يتحينون الفرص للقبض عليه وإقصائه .

*** الأسباب المباشرة للثورة .**

طلب جمال باشا من أمير مكة تأليف كتائب من الحجاز للاشتراك في حملة على مصر فطلب الحسين الأموال والأسلحة لإعداد المتطوعين وزوده جمال باشا بعشرين ألف بندقية وعشرين إلف ليرة ذهبية .

أرسل ابنه فيصل إلى دمشق ومعه 50 فارسا كطليعة للجيش ، وابرق الشريف حسين إلى أنوار باشا وزير الحربية العثماني يرجوه العفو عن المتهمين السياسيين

1. زين العابدين : المرجع السابق ، ص 190 .

العرب ، وإطلاق سراحهم ، كما طلب منه منح الشام نظاما لا مركزيا وجعل الحجاز ومكة إمارة وراثية في أولاده ، وعلق على هذه الشروط إرسال مجاهدين والمتطوعين العرب مع الدولة العثمانية .

ابرق أنور باشا برفض تلك المطالب ، و قام بتنفيذ أحكام الإعدام حكم في 21 من الزعماء السياسيين العرب في ماي 1916م [1] ، وبدا تحرك القوات العثمانية بقيادة خيري بك عبر الحجاز في طريقها إلى اليمن ، فطلب الشريف حسين من السلطات البريطانية أموالا و أسلحة ومؤن ، وقام باستدعاء ابنه فيصل من دمشق فغادرها في 16 ماي 1916م ، وفي طريقه إلى المدينة انضم إلى الأمير علي وقاما بالاتصال بالقبائل يحثون على الثورة ضد الدواة العثمانية .

ب / اندلاع الثورة العربية .

توجه الأميران علي و فيصل يوم 5 جوان 1916 م إلى المعسكر الذي كانت تتجمع فيه قوة تبلغ نحوا1500 من المجندين و أعلنا عن بداية عملية استقلال العرب عن الحكم التركي (العثماني) ، ومن مكة أعلن الشريف الحسين الثورة يوم السبت 10 جوان 1916 م ، وانقسمت قوات الثورة إلى ثلاثة فرق كبرى كل منها بقيادة واحد من أبناء الشريف حسين :

. الفرقة الأولى بقيادة علي ، وكان معسكره قرب المدينة المنورة

. الثانية بقيادة عبد الله وعملت على مهاجمة العثمانيين في الشمال .

. الثانية بقيادة فيصل في الوسط قرب مكة .

هاجمت القوات العربية ثكنات ومراكز الحماية العثمانية في مواقع متعددة في وقت واحد واستسلام بعض المراكز ، و صمدت مراكز أخرى ، و في 05 جويلية 1916 استسلمت الحامية العثمانية في مكة ، و ثم جدة ، و اتجه الأمير عبد الله إلى الطائف وحاصرها حتى سقطت في يوم 22 سبتمبر 1917 .

نجح العرب في الاستيلاء على الكثير من المدن و المعسكرات العثمانية في الحجاز، فخلال ثلاثة أشهر استولت على مدن الحجاز ماعدا المدينة المنورة وأثبتت ثورة فعليتها ، وأصبح في قبضتها نحو 6000 أسير عثماني وغنمت معدات كثيرة من الحرب .

1 . زين العابدين شمس الدين نجم : مرجع سابق ، ص ، ص : 187 ، 191 .

أعلن شيوخ القبائل ووجوه الحجاز وعلماؤه في 30 أكتوبر 1916 وبمناسبة العام الهجري الجديد مبايعة الشريف حسين بن علي ملكا على العرب ، وتم تشكيل أول وزارة عربية للثورة برئاسة ابنه علي ، وعبد الله وكيل خارجية ، وأعلن الشريف حسين مرسوما بذلك ، لكن بريطانيا و فرنسا كان قرارهما أن الحسين ملكا على الحجاز فقط وليس ملكا على العرب[1] .

استمرت العمليات بقيادة الأمير فيصل ودخلت قواته ميناء الوجه بجدة في جانفي 1917 ، وبذلك ضاع أمل القوات العثمانية في إمكانية استعادة جدة وصار ميناء الوجه قاعدة للعمليات عسكرية للثوار بمؤازرة بريطانية ، و تطورت الأحداث أكثر باحتجاز الحامية العثمانية في اليمن ، وهكذا نجحت الثورة في تقيد ومنع هجوم القوات العثمانية على قناة السويس ، و إفشال الحملة العثمانية الألمانية على جنوب الجزيرة .

أرسل بريطانيا ضباطا عبر القاهرة للثوار لتعليمهم كيفية استعمال المدافع ونفس طرق السكة الحديدية ، و على رأس أولائك الضباط لورانس[2] العرب ، كما أمدت بريطانيا الشريف حسين بالمال اللازم لإتمام المهمة .

بدأ لورنس مهمته العسكرية الاستخباراتية من خلال شنه هجوما على مركز العقبة في 5 جويلية 1917م ومن هناك كان يطمع في أن يسير قائد الجيش البريطاني آلنيبي نحو شبه الجزيرة سناء ثم وفلسطين و القدس تحديدا ، وأن يحمي له ميمنة جيوشه ، ليشغل القوات العثمانية عن الجبهة الفلسطينية ، فقام بقطع خطوط السكة الحديدية بالحجاز في ثلاث نقاط ، ليقوم (آلينيبي Allenby) بشن هجوم مفاجئ على الحامية العثمانية في فلسطين وفرض انسحابهم عبر الأردن ، عند إذن زحف لورنس

1. يحي جلال: المرجع السابق ، ص : 540

2 . عالم آثار عمل في البحث عن الآثار الآشورية و الإغريقية ، كان عارفا بجغرافية و طبية البلاد العربية ، ويعرف الكثير عن جغرافية و تركيبة المجتمع العثماني أكثر من العثمانيين أنفسهم ، نقل لورانس من قسم إدارة الخرائط و البحوث الأثرية إلى قسم الاستخبارات العسكرية البريطانية و رقي لرتبة ضابط ، و كلّف حلال العرب العربية العثمانية أو ما يسمى بالثورة العربية بالتعامل بشكل رئيسي مع الشؤون الداخلية للعدو (عثماني) ن و إذكاء الصراع العربي العثماني بكل الوسائل ، انظر . لويل توماس : لورانس في بلاد العرب ، مشاهدات تاريخية و سياسية ، ترجمة : صالح عثمان ، مراجعة : عيسى حسن ، ط 01 ، الأهلية للطبع و النشر ، الأردن ، 2009 ، ص ، ص : 30 ، 31 .

المتحالف مع الأمير فيصل شمالا مدعومين بفرقة عسكرية استرالية و تمكنا من دخول دمشق في 30 نوفمبر 1918 بعد انسحاب الحامية العسكرية العثمانية منها [1] .

في شمال إفريقيا حيث مصر و السودان لم يتم الترحيب بالثورة العربية، لأنها كانت تحت رعاية و حماية البريطانيين ، و ما يمثلون من عداوة تاريخية مع شعوب تلك البلدان التي رأت أن التحالف مع العدو المحتل ضرب للعروبة و للدين الإسلامي .

أما الشام (سوريا) فكان مرحبا بقادة الثورة العربية ، لما تلقى من شحن دعاية ضد العثمانيين ، و قد استغل في ذلك مقتل القادة العرب الـ 21 على يد القائد العثماني جمال باشا ، العراق فلم يكن له موقفا واضحا من تلك الثورة ، أما باقي شبه الجزيرة العربية فكانت موالية لآل الرشيد . الذين سيقضي آل سعود على حكمهم . الداعمين للدولة العثمانية ، و كانت اليمن موالية الإمام يحي الذي لم يناصر الثورة العربية المتحالفة مع الصليبين.

بالمجمل فإنّ فكرة انطلاق التمرد الأعرابي على الباب العالي لم تكن في الأصل فكرة الشريف الحسين بن علي، ولا أبنائه، ولا قيادات سورية، بل نتاج توافق أنغلو-فرنسي جرى عبر مراسلات مطولة وكثيرة توجت في نهاية المطاف بمؤتمر عقده الطرفان في فرنسا يومي 30 و31 ديسمبر 1915 وحضرته مجموعة من أهل الاختصاص الفرنسيين قادهم م. گو (M. Gout) رئيس قسم الأمور الإسلامية في وزارة الخارجية، والبريطاني هنري مكمَاهون، وقرروا قيام بريطانيا بحثّ عملائها في الحجاز على الاستعداد للتمرد العسكري. كما اتصل ممثلوها بخديوي مصر المخلوع، حلمي باشا المقيم في منفاه السويسري، فبارك هذا التحالف الذيلي، ربما طمعًا في استعادة منصبه الشكلي في مصر الخاضعة للاحتلال البريطاني. أما فرنسا، فقد تكفلت بحثّ عملائها في سوريا على التحالف مع أذناب لندن والمشاركة في التمرد المزعوم، وتفاصيل هذه التحركات متوافرة في الوثائق الرسمية ذات الصلة .

وثائق الاستخبارات البريطانية تؤكد أن قوات الأعراب التي دخلت الحجاز، كانت بقيادة بريطانيا واعتمادًا على المعلومات الاستخبارية التي كانت تجمعها منذ ما قبل الحرب انطلاقًا من مصر والكويت، ومن خلال علماء الآثار والرحالة، رجالاً ونساءً، وغيرهم من الجواسيس الذين كانت ترسلهم إلى شرق المتوسط .

1 .زين العابدين : المرجع السابق ن، ص : 191 .، انظر كذلك : كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ص : 746 .

إضافة إلى ذلك، فإن القوات البريطانية، ومن ضمنها قوات من أستراليا ونيوزيلاندا وغيرهما، هي التي أنجزت احتلال بلاد الشام بقيادة الجنرال أللنبي صاحب المقولة المنسوبة إليه، واضعًا حذاءه المغبرّ على قبر الناصر صلاح الدين في الجامع الأموي في حاضرة الأمويين: «ها قد عدنا يا صلاح الدين -الآن انتهت الحروب الصليبية»، وصولاً إلى الحدود السورية التركية الحالية، تنفيذًا لاتفاقية سايكس . بيكو، وثمة مؤلفات حديثة وقديمة تؤرخ لذلك الاحتلال وتفاصيل المعارك على نحو شبه يومي .

بالعودة إلى كبيرهم، الحسين بن علي الذي جلبه السلطان العثماني إلى إسطنبول فالمراجع ذات العلاقة تذكر أن ترجمان القنصلية البريطانية في حاضرة العثمانيين الآنف الذكر، هو من اقترحه واليًا على الحجاز. الترجمان كان هو الممثل الحقيقي للندن في العديد من عواصم العالم، منذ العصور الأوروبية الوسطى، وثمة مؤلفات مخصصة لهذا الموضوع. أي إن مسألة اختيار الحسين بن علي والتمرد الأعرابي المسمى «ثورة» كانت مشروعًا بريطانيًا خالصًا، شاركت فيه فرنسا وروسيا القيصرية، إتمامًا لاتفاقية سايكس- بيكو لاقتسام تركيا وشرق المتوسط أو ما يعرف بجزيرة العرب .

كانت نهاية الحسين بن علي معروفة، إذ حاول التمرد على لندن التي صنعته فألقت به في السجن بعدما تمرد على أوامرها وأعلن نفسه ملك العرب .

نصل في آخر التطرّق إلى ما سميناه (الثورة العربية) إلى مسألة المراجع والمعارف الضرورية واللازمة لإعادة كتابة تاريخ المشرق العربي، ومعرفة تفاصيل الأحداث والترتيبات التي سبقت ما تسمى «الثورة العربية الكبرى». فالمراجع المتخصصة بتلك المرحلة قليلة، وكثير منها مكتوب بأفكار مسبقة وبعضها يفتقر إلى شمولية المعرفة اللازمة لمعالجة المواد ذات الصلة، لكن من المؤكد أنّ على الباحث الجدي والاستقصائي، في هذا الموضوع، الاطلاع على مجموعة كبيرة من المراجع الإنكليزية والفرنسية والعثمانية والتركية والألمانية والروسية، ثم العربية، إن توافرت. وعلى الباحث الاعتماد أولاً، وقبل كل شيء على الوثائق الأصلية، ومنها وثائق مختلف الحكومات الغربية وتقارير القناصل لحكوماتهم، وتقارير الاستخبارات، والرسائل الخاصة المتبادلة بين القناصل وزملائهم وأصدقائهم. إضافة إلى ذلك، من الضروري للباحث أن يكون على معرفة بالأوضاع في أوروبا عشية الحرب العالمية الأولى، والعلاقات التي كانت تربط بين التحالف الثلاثي، أي بريطانيا وفرنسا وروسيا

القيصرية. كما وجب معرفة موازين القوى داخل حكومات الدول الأوروبية المؤثرة، ومشاكلها وعلاقاتها .

من الأمور الأخرى الواجب تتبعها الحركة الماسونية ودور الماسونيين الإنكليز والفرنسيين، والعثمانيين الأتراك والعرب واليهود[1]... ذلك أن بعض قيادات «جمعية الاتحاد والترقي» كانوا ماسونيين مثل طلعت بي، ومنهم من كان أيضًا من دونمة سالونيكي، علمًا بأن علاقات العثمانيين في جمعية الاتحاد والترقي بالمنظمة الصهيونية العالمية وصلت إلى تنسيق غير مسبوق .

06/ تأمر الحلفاء على العرب .

أ / اتفاقية سايكس . بيكو . SYKES . PICOT . 1916 .

في الوقت التي كانت فيه جيوش ما يسمى الثورة العربية تقاتل شركاء العقيدة و التاريخ ، و متحالفة مع الدول الاستعمارية الصليبية فرنسا و بريطانيا ، كانتا هاتين الدولتين ترسمان مخططات استعمارية لقسيم المنطقة العربية بينهما و فق مؤامرة تاريخية و بمساندة روسية ، و أقل ما يقال عن تلك المؤامرة كما اجمع المؤرخون العرب و المسلمون أنها : ليست صورة للجشع فحسب ، بل هي صورة مرعبة للمخادعة و المكر و تدمير لوحدة جمعت المشرق العربي لقرون طويلة .

جرت المباحثات الأولية البريطانية الفرنسية بلندن في أخرى عام 1915 بين كل من السير ادوارد جراي وزير الخارجية البريطاني و اميسو بوكامبوت السفير الفرنسي في لندن ، ثم استكملت المباحثات في القاهرة وكان يمثل فرنسا جورج بيكو ويمثل بريطانيا مرك سايكس ، واشترك فيها قنصل روسيا ، الذي طلب السفر الى بطرسبورغ لعرض المشروع على الحكومة الروسية ، وكانت الحكومتان الانجليزية والفرنسية قد وافقتا على المطلب روسيا الخاص بان تكون مدينة الأستانة ومضايق الدردنيل من نصيبها بعد الانتهاء الحرب .

تمت اتفاقية أو مؤامرة ساكس . بيكو وفق البنود التالية [2] :

---

1 . للمزيد عد إلى : محمد مخزوم : أزمة الفكر و مشكلات السلطة السياسية في المشرق العربي في عصر النهضة ، معهد الإنماء العربي ، 1982 ، عد أيضا إلى وجيه كوراني : العثمانيون من السلطة إلى الدولة القومية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، الكويت العدد الثالث ، 1980

2 . انظر خريطة تقسيم المشرق العربي و فق مؤامرة سايكس . بيكو ، بالملحق رقم : 01 .

. إنشاء دولة عربية يحكمها زعيم عربي ضمن منطقة (أ) داخل الشام و تضمّ : الموصل ، حلب ، حمص ، حماة ، دمشق ، و منطقة (ب) داخل العراق و تضمّ: كركوك ، شرق الأردن النقب ، العقبة ، و تعترف فرنسا و بريطانيا بهذه الدولة تساعدانها ، شرط أن يكون لفرنسا في المنطقة (أ) و لبريطانيا في المنطقة(ب) الأولوية في المشروعات و تقديم المستشارين والموظفين[1] .

. يخضع الساحل السوري من الاسكندرونة شمالا حتى صور جنوبا (المنطقة الزرقاء) لحكم فرنسا المباشر و تخضع ولايتا البصرة و بغداد (المنطقة الحمراء) لحكم بريطانيا المباشر . السيطرة على المنافذ البحرية . ، و للدولتين الحرية التامة في إنشاء ما ترغبان فيه في مناطقهما من أشكال الحكم بالاتفاق مع الحكومة العربية[2]؟ .

. وضع فلسطين تحت إشراف إدارة دولية مشتركة و سميت بالمنطقة السمراء .

. تنال بريطانيا مينائي حيفا وعكا ، ويضمن لها المقدار الكافي من المياه نهري دجلة والفرات .

. أن تكون الاسكندرونة ميناء حر يتعلق بتجارة الإمبراطورية البريطانية وان تكون حيفا ميناء حر يتعلق بتجارة فرنسا .

. لبريطانيا وحده الحق في إنشاء وإدارة وتملّك سكة حديدية إلى حيفا و ما تنقله .

. لا يجوز للحكومة الفرنسية وكذلك الانجليزية التنازل عنها لغير الحكومة العربية .

. تتعهد فرنسا وبريطانيا بعدم تملّك أراضي في جزيرة العرب .

. أن تستمر المخابرات مع العرب لوضع حدود الحكومة أو الحكومات العربية .

. نزع الخلافة من الأتراك ثم إلغاؤها تماما . و هو مطلب إيطاليا .

. الاتفاق على أن الوسائل اللازمة لتريد السلاح إلى الأراضي العربية تستشار فيها الحكومتان البريطانية و الفرنسية[3] .

أذيع النص الكامل للاتفاقية ضمن ما نشر من الاتفاقيات السرية التي عقدت خلال الحرب عندما قامت الثورة البولشيفية في روسيا سنة 1917 ، وقد نشرت نصها

---

1 . علي محجوبي : العالم العربي الحديث و المعاصر ، تخلّف فاستعمار ، فمقاومة ، دار محمد علي للنشر العربي ، بيروت ، لبنان ، 2009 ، ص : 70 .

2 . الغالي غربي : المرجع السابق ، ص : 261 . أنظر الملحق رقم : 01 .

3 . زين العابدين شمس الدين نجم : مرجع السابق ، ص ، ص : 195،197 ، انظر كذلك على محجوبي : المرجع السابق ، ص : 70 .

جريدتها ازفستيا و برافد الروسيتين في 23 نوفمبر 1917م عقب العثور على نصوص الاتفاقيات في سجلات وزارة الخارجية الروسية ، و نشرت جريدة (الغارديان The Guardian) البريطانية الترجمة الإنجليزية للنص الروسي من المعاهدات السرية .

أسرع القائد العثماني جمال باشا بإرسال نص الاتفاقية في 12 ديسمبر إلى الأمير فيصل ، و عندها استفسر الشريف حسين من المندوب السامي البريطاني في مصر ، فكان رده أن الأتراك يريدون زرع الشقاق بين العرب والبريطانيين ، وأنّ الأمر يتعلّق بمجرد محادثات وليست اتفاقيات ، و ما كان على الشريف حسين إلا أن يصدّق ذلك[1] .

ب/ وعد بلفور 2 نوفمبر 1917[2] م .

يرجع صدور هذا التصريح إلى الجهود الحركة الصهيونية ،التي اتجهت نحو بريطانيا وعمل زعماؤها على ربط أهدافهم في فلسطين بالمصالح الاستعمارية البريطانية ، فحاولوا كسب تأييدها لإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين، لان في ذلك حماية لمصالحها وتامين طرق مواصلاتها إلى الهند و كان الساسة البريطانيون يريدون عزل قناة السويس عن منطقة الشام بواسطة دولة حليفة لهم تكون على حساب فلسطين .

قام حاييم وايزمان المفاوض الصهيونية الرئيس بالاتصال بالشخصيات البريطانية ذات النفوذ والتي يرى أنه سيجد منه العون للتأثير على المسؤولين البريطانيين و من هؤلاء صديقه سكوت SCOTT ، رئيس تحرير جريدة (المانشيستر غارديان Gardien de Manchester)، وقد عرفه سكوت (بهربيرت صمويل) احد وزراء اليهود في الحكومة البريطانية ولويد جورج وزير الخارجية البريطاني ، وقد أثمرت تلك الاتصالات ، فقد لوح لويد جورج في يناير 1915 م بفكرة إنشاء دولة يهودية حاجزة في فلسطين بين الشام ومصر وذلك للدفاع عن قناة السويس ضد أي هجوم من الشمال[3] .

1. عبد العزيز عمر عبد العزيز مرجع السابق ص 189 -199

2. انظر الملحق رقم : 03 .

3. زين العابدين شمس الدين نجم : مرجع السابق ، ص ، ص : 200-202 ، انظر كذلك أمين سعيد : المرجع السابق ، ص : 303 .

عْدُ بَلفُور أو إعلان بَلفُور بيانٌ علنيّ أصدرته الحكومة البريطانيّة خلال الحرب العالمية الأولى لإعلان دعم تأسيس "وطن قوميّ للشعب اليهوديّ" في فلسطين، التي كانت منطقة عثمانية ذات أقليّة يهوديّة حوالي 3-5% من إجماليّ السكان ، و نصها : (تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن قوميّ للشعب اليهوديّ، و ستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر) .

ضُمِّنَ هذا الوعد ضمن رسالة بتاريخ 2 نوفمبر/تشرين الثاني عام 1917 مُوَجَّهَةٌ من وزير خارجيّة المملكة المتحدة آرثر بلفور إلى اللورد ليونيل دي روتشيلد أحد أبرز أوجه المجتمع اليهودي البريطاني، وذلك لنقلها إلى الاتحاد الصهيوني لبريطانيا .نُشر نص الوعد (أو الإعلان) في الصحافة في 9 نوفمبر 1917 .

كان وعد بلفور ضربة للعرب ، ولحركتهم القومية وإضعافا لوحدتهم التي مزقوها بأيديهم ، -وجاء هذا الوعد صفعة للثورة العربية وكل ما بذله عرب المشرق في سبيل هزيمة الدولة العثمانية وتأييد بريطانيا ، فقد ساعدت ثورتهم المزعومة على تقدم القوات البريطانية احتلال فلسطين وهي مطمئنة على جناحها الأيمن من أي هجوم عثماني ، و دخل آلنيبي القدس رغم المقاومة الكبيرة التي أبدتها الحامية العثمانية و من تحالف معها من الفلسطينيين .

ما يمكن أن نخلص إليه أنّ ما تسمي بالثورة العربية كانت خيانة للدولة والخلافة والدين الإسلامي ، ولم تكن الثورة شعب من اجل الاستقلال كما ادعى القوميون الذين خدعوا ولازالوا بفكر القومي الضيّق ، و ستظل تلك الثورة نقطة سوداء في تاريخ العرب خاصة عرب المشرق ، رغم محاولات إيجاد الأعذار و المبررات للشريف حسين ومن شايعه من دعاة القومية العربية .

خاتمة:

بقي المشرق العربي في ظل الدولة العثمانية ـ أو ما اصطلح على تسميته من قبل جل الرواد من مؤرخي العثماني الجزائريين بالخلافة العثمانية ـ لمدة زمنية زادت عن أربعة قرون ، عرفت خلافها الساحة المشرقية مراحل من الازدهار السياسي و الاستقرار الاجتماعي و ثقافي وكانت الدولة العثمانية بقوتها العسكرية ونفوذها السياسي تمثل الحصن المنيع الذي حمى المنطقة من الأطماع التوسعية الأوربية ، لكن النهضة الأوربية الحديث أحدثت خللا لصالح المشروع الصليبي الغربي ، و لم تستطع الدولة العثمانية مواكبة تلك النهضة العلمية السريعة مما أفقدها الكثير من ميزاتها العسكرية و الاقتصادية على الساحة الدولية ، و في نفس الوقت كانت فكرة القومية براميل بارود استعملتها دول الغرب لتفكيك الوحدة العثمانية ، وصل ذلك التأثير القومي لدول المشرق العربي ،بعد ما زينته لها بريطانيا و فرنسا ومن و رائهما المشروع الصهيوني الذي كان يرى أنّ أحلامه لن تتحقق بوجود و حدة إسلامية العربية .

تكفّل بعض العرب المشارقة المتحالفين مع أعداء الدولة العثمانية من تحقيق المشروع الصليبي الصهيوني فيما سمي بالثورة العربية سنة 1916، فضاع المشرق العربي و تم تقسيمه إلى مناطق نفوذ بين الدول الغربية خاصة بريطانيا و فرنسا ، ليجد المشروع الصهيوني ضالته سنة 1917 من خلال إنها الوحدة الإسلامية بين العثمانيين و العرب ، وصولا إلى الوعد المشؤوم المسمى بوعد بلفور في 02 نوفمبر 1917 و كل ذالك بدعم غربي و غباء عربي استراتيجي .

إن النظرة التقليدية إلى الحياة السياسية العربية إبان العهد العثماني تحتاج إلى إعادة نظر ، و إلى بحث و دراسة انطلاقا من الكنوز العربية والعثمانية المخطوطة التي لم تأخذ حقها من الاستقراء والبحث العلمي الأكاديمي ، بعيدا عن آراء أولائك المنتسبين للمدرسة التاريخية الاستعمارية الغربية الذين تناولوا الأوضاع العربية في العهد العثماني بطريقة أقل ما يقال عنها أنها غير موضوعية وتستند إلى حقد تاريخي دفين تجاه كل ما هو عربي إسلامي حتى لا تتكرر الوحدة المنشودة بين العرب و المسلمين و ما تمثله من خطر سياسي و حضاري على المشروع الغربي بخلفيته الصليبية الصهيونية .

الملاحق

الملحق رقم : 01



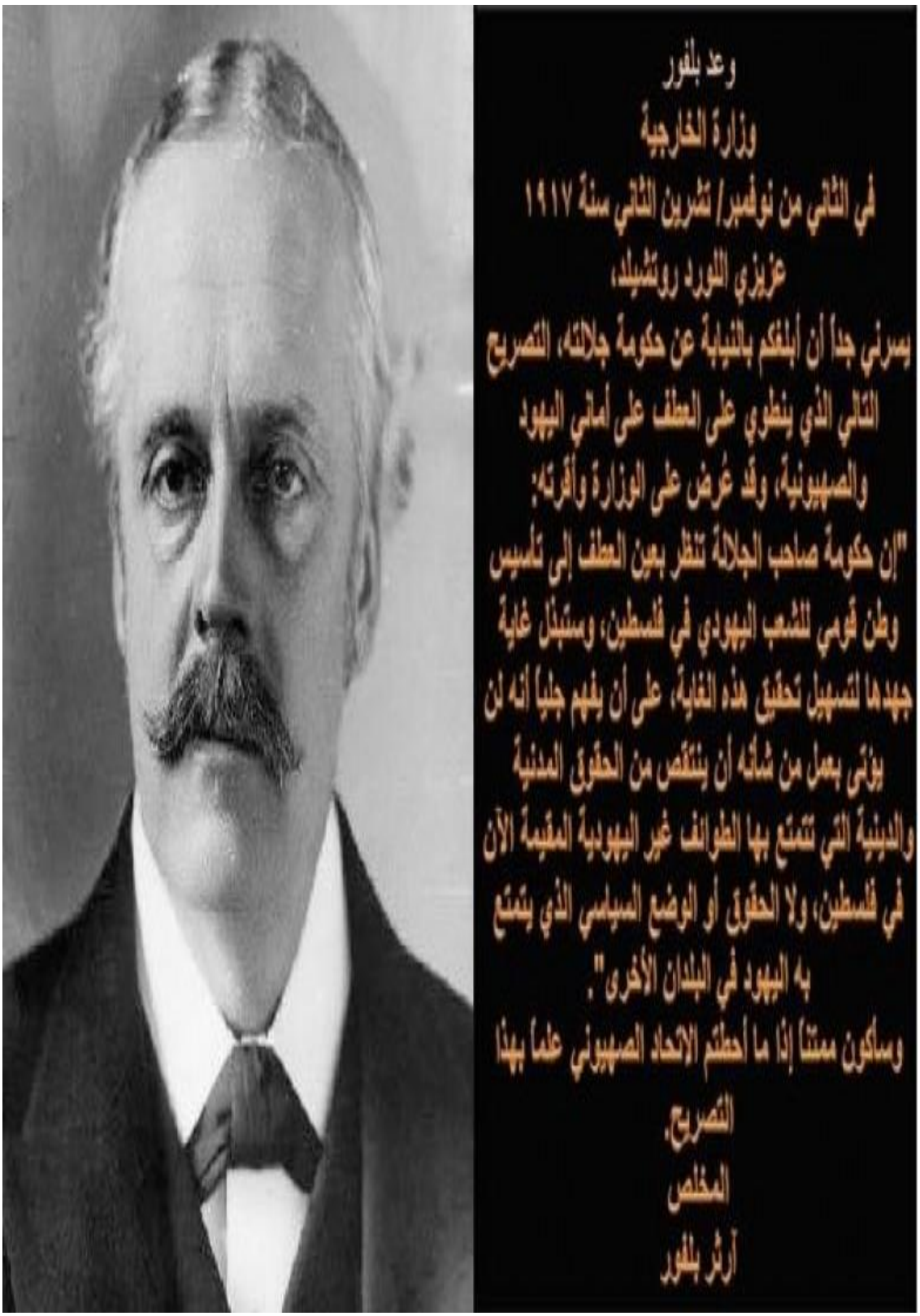
خارطة معاهدة سايكس . بيكو . 1916 .

الملحق رقم : 02

اسم الجريدة	اسم صاحبها أو أصحابها	محل صدورها
جريدة المفيد	عبد الغني العريس وفؤادختس	بيروت
جريدة الحقيقة	كمال عباس	بيروت
جريدة الاتحاد العثماني	الشيخ احمد طباره	بيروت
جريدة المقتبس	محمد كرد على	دمشق
جريدة كلمة الحق	ابراهيم سليم النجار	الآستانة
جريدة الحضارة	عبد الحميد الزهراوي	الآستانة
مجلة لسان العرب	احمد عزت الاعظمي	الآستانة
جريدة بيام "باللغة التركية"	نجيب شقير	الآستانة
جريدة طرابلس	كامل البحيري	طرابلس الشرق
جريدة الأجيال	توفيق اليازجي	طرابلس الشرق
جريدة الوطن	باترو باولي	بيروت
جريدة العرفان	احمد عازف الزين	صيدا
جريدة الاهرام	جبرائيل تقلا	مصر
جريدة المقطم	نمر وصروف و تمكاريوس	مصر
جريدة المقطم	نمر وصروف و تمكاريوس	مصر
جريدة المنار	السيد رشيد رضا	مصر
جريدة المؤيد	الشيخ علي يوسف	مصر
جريدة النهضة	مزاحم الباجة جي	دمشق

أسماء الصحف العربية التي ناصرت الحركة القومية العربية و أيدتها من 1908م إلى 1919م .

الملحق رقم : 03



صورة و وعد بلفور 02 نوفمبر 1917 .

قائمة المصادرو المراجع :

. ابن اياس محمد بن أحمد ابو البركات: بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ج5 .

. ابن منظور : لسان العرب، ج7، دار مصادر للطباعة والنشر ، بيروت، 1988

. أغناطيوس كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب ، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط 01 ، 1987 .

. أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، تقديم : أحمد زكريا الشلق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط 01 ، 2016 .

. انالجيك اخليل : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة محمد حسين صادق ، دار المدار الاسلامي ، ط 01 ، ليبيا ، 2002 .

. البيطار عدنان : الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ، دار هومة ، الجزائر ط 01 ، 2010 .

. بجوي إبراهيم أفندي : التاريخ السياسي و العسكري للدولة العثمانية ، من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول ، ترجمة و تقديم : ناصر عبد الرحيم حسين ،المركز القومي للترجمة ، مصر ،ط 01 ، 2015 .

. زكّار سهيل : تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، دار التكوين للدراسات والترجمة والنشر دمشق سوريا ، 2006 .

. العجيلي التليلي : صدى حركة الجامعة الاسلامية في المغرب العربي 1876 / 1918 ، معامل الطبعة فينزي ، تونس ، ط 02 ، 2010 .

. عانوتي أسامة : الحركة الأدبية في بلاد الشام ، منشورات الجامعة اللبنانية 1970 ، (المقدمة)

. عبد الرحيم عبد الرحمن : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 . 1798) ، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 .

. نعمان قساطلي : الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، ط01

. يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مراجعة وتنقيح : محمود الأنصاري ، المجلد الأول ، منشورات مؤسسة فيصل للتموين تركيا أستنبول ، 1988

. إبراهيم خليل احمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، جامعة الموصل العراق ، 1976.

. أحمد السماوي : الاستبداد و الحرية في فكر النهضة ، دار محمد علي الحامي للنشر ، ط02 ، تونس ، 1988 .

. أحمد عزت عبد الكريم : التقسيم الإداري لسوريا في العهد العثماني ، حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس ، المجلد .

. أسعد عطا الله : العلاقات بين مصر و لبنان في عهد محمد علي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة ، ط 02 ، 2006 .

. الإدريسي محمد : ابن عربي ومنهجه الصوفي الفلسفي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، ط 02 ، 2004.

. البقلي محمد قنديل: المختار من تاريخ الجبرتي ، مطابع الشعب ، القاهرة، 1958

. الحافظ محمد مطيع ، اباظة نزار: علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر الهجري ، ج 01 دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق سوريا 2000 .

. الحصري ساطع : البلاد العربية و الدولة العثمانية ، دار النهضة العربية بيروت لبنان ، 1965 .

. الخفاجي شهاب الدين : ريحانة الألباب في زهرة الحياة الدنيا ، مطبعة بولاق مصر ، 1984 .

. الدسوقي محمد كمال: الدولة العثمانية و المسألة الشرقية ، دار الشرق ، القاهرة ،ط02 ، 1976 .

. الدقن سيّد : دراسات في تاريخ الدولة العثمانية ، مكتبة القاهرة ،ط01 ، 1979 .

. الرافعي عبد الرحمن : عصر محمد علي ، ج 03 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ط 01 ، 2000 .

. الراق محمد عبد المنعم: الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، (د، ت) .

. السعيد لمليح : التواصل الفكري و الروحي بين المغرب الأقصى و المشرق الإسلاميين (مصر والحجاز) : أسسه ومظاهره ، من بداية القرن السابع إلى أواخر القرن الثامن الهجريين ، المجمع الثقافي ابوظبي ، الإمارات العربية المتحدة 2005.

. السماري إبراهيم بن عبد الله : ثقافة مكة المكرّمة في أدب الرحلات الحجازية مكة المكرّمة عاصمة الثقافة العربية ، 2005 .

. الشاذليّ محمود ثابت : المسألة الشرقيّة دراسة وثائقيّة عن الخلافة العثمانيّة مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ (1)، (1989 م .

. الشناوي عبد العزيز محمد : الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ، ج 01 ، مطبعة جامعة القاهرة ، ط 01 ، 1980.

. الشيال جمال الدين: الحركات الإصلاحية ومركز الثقافة في المشرق الإسلامي الحديث ، ج 02 (مصر الشام) مكتبة الثقافة الدينية بيروت ، 2001 .

. الصباغ ليلى : المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي دمشق ، سوريا ، 1973.

. الصديقي محمد بن أبي السرور البكري : المنح الربانية في الدولة العثمانية تحقيق : ليلى الصباغ ، دار البشائر ، ط1 ، 1995

. الصلابي علي محمد: الدولة العثمانية ، عوامل النهوض و أسباب السقوط ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ، ط 01 ، 2006 .

. العمودي هدى محمد : صناعة الكتاب المكي من خلال المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى الرابع عشر ، مكتبة الملك فهد ، مجموعة 13 ، 2006 .

. المحامي محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي دار النفائس ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 1981 .

. المنوني محمد: الجزيرة العربية في الجغرافيا و الرحلات المغربية ، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1983 .

. أنيس محمد ، حراز رجب : الشرق العربي في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النشر للتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1978 .

. أوليا جلبي : الرحلة الحجازية ، ترجمة : احمد مرسي الصفصافي ، دار الآفاق العربية ، بيروت ، 1999 .

. برهان غليون : اغتيال عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت : ط 06 ، 1992.

. برو كلمان كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة ، امين سعيد ومنير العلبكي دار العلم لملايين بيروت ط05 ، 1998 م .
. بن علي ياسين - خروج الوهابية على الدولة العثمانية- مجلة الزيتونة – العدد 17
. بيضون جميل ، الناطور شحادة ، عكاشة علي: تاريخ العرب الحديث ، دار النشر للتوزيع ، القاهرة مصر ، 1991.
. بيضون جميل: تاريخ العرب الحديث : دار الامل للنشر والتوزيع ، الاردن 1991.
. بيهم محمد جميل: فلسفة التاريخ العثماني ، كيف نشأت و ارتقت السلطنة العثمانية ، و إلى أي حد بلغت عظمتها ، ج 02 ، مكتبة بيروت ، 1925 .
. حامد حنفي داود : تاريخ الأدب الحديث ، تطوره .معالمه .مدارسه ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983 .
. حرّان رجب : الدولة العثمانية و شبه جزيرة العرب ، معهد الدراسات والبحوث العربية ،القاهرة ، ط 01 ، 1970.
. حرب محمد : العثمانيون في التاريخ والحضارة : دار القلم ، دمشق ، 1989 .
. رأفت الشيخ ،تاريخ العرب المعاصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،مصر ،1996م .
. رافق عبد الكريم : مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 01 1980 .
. رافق عبد الكريم: الهوية والانتماء في بلاد الشام في العهد العثماني، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، سويا ، العدد ، 81 ،82 ، سنة 2003 .
. رفاعة رافع الطهطاوي : مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية مطبعة شركة الرغائب ، القاهرة ، 1912 .
. روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ج01 ، ط 01 دار الدراسات للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1992.
. روبير مانتيران : تاريخ الدولة العثمانية الجزء 01 ، تحقيق ، بشير السباعي .

. زكي هالة أحمد : لزيادة التواصل بين مصر وتركيا المطالبة بمشاركة تركية في لجنة لإعداد دراسة لتاريخ مصر في العهد العثماني ، جريدة الأهرام ، السنة : 132، العدد : 44187 ، اليوم : 29 /11/ 2007 .

. زهر الدين صالح ، عنايت الله رضا : التوسعية التركية في الوطن العربي وايران مطبعة سبورك بيروت ، لبنان .

. زيدان جرجي : مصر العثمانية ، تحقيق وتعليق : محمد حرب ، دار الآفاق العربية القاهرة ، 2002 .

. زين العابدين شمس الدين نجم : تاريخ العرب الحديث و المعاصر ا ، ط 01 دار المسيرة ، الأردن ، 2011 م.

. سعود كليب: المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين والعثمانيين 1908-1918 مكتبة الوطنية ط 01 ، 1997م .

. شاكر مصطفى : موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، ج 03 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1993 .

. شبادو عصام محمد : السلاطين في المشرق العربي : معالم دورهم السياسي والحضاري ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، 1994 .

. شفيق جحا، منير البعلبكي : المصور في التاريخ، ج 06 ، دار العلم للملايين بيروت لبنان ، 1989.

. شهاب الدين الخفاجي : ريحانة الألباب في زهرة الحياة الدنيا ، مطبعة بولاق مصر ، 1984 .

. صبري إسماعيل عبدالله : ، نحو نهضة عربية ثانية ، الضرورة والمتطلبات، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ع161، 1992 .

. ضيف الله محمد لخضر : محاضرات في النهضة العربية الحديثة ، ديوان المطبوعات لجامعية ، الجزائر ، ط01 ، 1981.

. طومسون عطا الله طومسون عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا عصر النهضة إلى الحرب الباردة، القاهرة، مطبعة المكتوب المصري لتوزيع المطبوعات، 2000

. طومسون عمر : الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم -1855 1853، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1993 .

. عاشور سعيد عبد الفتاح : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، (د.ت).

. عبد الحميد الثاني : مذكراتي السياسية ، 1891 . 1908 ، الهيئة العامة للكتاب الإسكندرية ، د. ت .

. عبد الرحمان بن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرّمة مؤسسة الرسالة مكة ، 2001 .

. عبد الكريم رافق : دراسات تاريخية ، مجلة علمية فصلية تعنى بتاريخ العرب السنة 24 ، العدد : 81 ، 82 ، سنة 2003 .

. عبد الرحيم عبد الرحمن : نشوء الرأسمالية المصرية خلال العهد العثماني 1517 . 1788 ، و أثرها على الحياة الاقتصادية من خلال وثائق المحاكم الشرعية منشورات مركز الدراسات و البحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني زغوان ، 1986 .

. عزت احمد عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1970 .

المحافظة علي : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، 1798 . 1914 ، الاتجاهات الدينية و السياسية و الاجتماعية و العلمية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1980 .

. علي محجوبي : العالم العربي الحديث و المعاصر ، تخلّف فاستعمار، فمقاومة دار محمد علي للنشر العربي ، بيروت ، لبنان ، 2009 .

. عمر عبد العزيز عمر : الشرق العربي المعاصر ، الإسكندرية ، 1990

. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ مصر الحديث والمعاصر1517.1919 ، ط 02 دار المعرفة الإسكندرية 1996 .

. عمر عبد لعزيز عمر : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 2007 .

. عمرو عبد الرؤوف احمد : تاريخ مصر الحديث ، 1518 . 1900 ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، ط 01 ، 2003 .

. عواطف محمد يوسف : الرحلات المغربية والأندلسية ، الرياض ، 1996 .

. غرايبة عبد الكريم : مقدمة في تاريخ العرب الحديث ، ج 01 ، جامعة دمشق 1960 .

. غربي الغالي : دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288 . 1916) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2007 .

. غوستان لوبان : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر 1956 .

. فرغلي عبد الحفيظ ، القرني علي : الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي سلطان العارفين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986 .

. فليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان و فلسطين ، ج 02 ، بيروت ، 1909.

. قصي الحسين : موسوعة الحضارة العربية ، العصر العثماني والمملوكي ، دار البحار بيروت ، العرب و الأتراك مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، 1993

. كوراني وجيه : السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام مركز دراسات الوحدة العربية ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1988 .

. لطيفة محمد سالم : الحكم المصري في بلاد الشام 1831 ت 1841 ، سلسلة صفحات من تاريخ مصر ،العدد 14 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، العدد 14، 1999.

. لمعرفة المزيد عن الحركة الوهابية ، و ما لها و ما عليها ، في الجوانب الفكرية والسياسية عد غلى : محمد خليل هرماس : الحركة الوهابية ، دار الكتاب العربي دون تاريخ .

. لمليح السعيد: التواصل الفكري و الروحي بين المغرب الأقصى و المشرق الإسلاميين (مصر والحجاز) : أسسه ومظاهره ، من بداية القرن السابع إلى أواخر القرن الثامن الهجريين ، المجمع الثقافي ابوظبي الإمارات العربية المتحدة 2005 .

. ليلي الصباغ : الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث : المجلة التاريخية المغربية ، العددان : 07 / 08 ، تونس ، 1977 .

. محمد رجب البيومي : النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، ج 01 دار القلم دمشق ، دار الشامية بيروت ، ط01 ، 1995 .

. محمد عبد المنعم خفاجي : الأزهر في ألف سنة ، ج 01 ، عالم المكتب، بيروت 1993 .

. محمد كامل الخطيب : الاصلاح و النهضة ، ج01 ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ط02 ، 1992 .

. محمود شاكر : التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر لبلاد العراق ، المكتب الإسلامي ،الجزء 11، الطبعة الأولى ،بيروت ،1992م .

. مزاوي منعم : الحياة الفكرية في العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر : 1700 . 1800 ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة الثانية ، العدد 01 ، جانفي 1980 مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

. مهنا محمد ناصر : الاسلام في آسيا منذ الغزو المغولي ، المكتب الجامعي الحديث ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1990 .

. نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني 1453 ،دراسة و ترجمة : حاتم عبد الرحمن الطحاوي ، عين للبحوث والدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، القاهرة ، ط01 ، 2002 م .

. نيكولا ايفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية (1516 . 1574) ، تر : يوسف عطا الله ، دار الغرب الإسلامي،ب يروت ،1988

. هلال عمار : العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين:09 . 20 م / 03 . 14 هـ ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ،1995.

. هنري لورانس : المملكة المستحيلة ، فرنسا و تكوين العالم العربي الحديث ترجمة : بشير السباعي ، دار سينا للنشر ، القاهرة ، ط 01 ، 1998.

. ياسر عبد العزيز محمود : دور الامتيازات الأجنبيّة في سقوط الدولة العثمانيّة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1422 هـ- 2001 م .

. يحي جلال : العالم العربي الحديث و المعاصر ، ج 01 ، المكتبة الجامعية الحديثة الإسكندرية 1995 .

المراجع الأجنبية .

- ANDRE . RAYMOND : grands villes Arabes á l' époque Ottomane , Sindbad Paris, 1985.

- Deveux Carra (Baron) : les penseurs de L'Islam , Paris , 1921.

– LEWIS BERNARD : The Emergence of Modern Turkey , 2nd Edition London . 1968 .

- Laous t , les gouverneus de damas sous les Mameelouks et les premiers ottomans . Damas .1952

فهرس المحتوى

مقدمة:..... 2
01 / أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية..... 4
* / السلطان أو الخليفة 6
*/ الصّدر الأعظم 7
03 / الفتح العثماني للمشرق العربي 12
أ / أسباب الفتح العثماني للمشرق العربي 12
ب / اندفاع العثمانيين نحو المشرق العربي 13
ج / دخول الجيش العثماني للشام بعد معركة مرج دابق 15
د / فتح مصر بعد معركة الريدانية..... 16
هـ / دخول الحجاز في ظل الخلافة العثمانية..... 17
و/ إلحاق لبنان بالخلافة العثمانية 18
ي / الفتح العثماني لليمن 18
ن / العراق آخر المنضوين تحت راية الخلافة العثمانية 19
03 / طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي 20
أ / طبيعة الحكم العثماني في مصر 21
ب / طبيعة الحكم ببلاد الشّام 22
ج / طبيعة الحكم العثماني بالحجاز 25
05 / الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني 27
أ / الأوضاع الاقتصادية 27
01 / التجارة : 27
02 / الصناعة 29

03 / الزراعة 31
ب/ الأوضاع الاجتماعية 33
06 / الدولة العثمانية والتحديات بالمشرق العربي خلال القرنين 18، 19 50
أ / تمرد علي بك الكبير..... 51
ب / تمرد محمد علي باشا 53
ج / تمرد الحركة الوهابية بالحجاز 58
هـ / تمرد أحمد باشا الجزار (1775م1804م) 61
07 / الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية..... 61
08 / المسألة الشرقية : مظاهرها و آثارها على المشرق العربي 63
أ / مفهوم المسألة الشرقية 63
ب / أسباب المسألة الشرقية 64
ج / مظاهر و أزمات المسألة الشرقية 64
09 / النهضة العربية الحديثة 68
أ / مفهوم النهضة العربية 68
ب / عوامل النهضة العربية الحديثة 68
د / رواد النهضة العربية الحديثة..... 72
01. رفاعة رافع الطهطاوي 1801 – 1873 72
02. جمال الدين الأفغاني 1838 – 1897 74
03. محمد عبده 1849 – 1905 76
04 / عبد الرحمن الكواكبي..... 78
10 / المشرق العربي و الحرب العالمية الأولى..... 79
01 / أوضاع المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى 79
02 / الصراع البريطاني العثماني في منطقة الخليج العربي 82

03 / المشرق العربي أثناء العالمية الأولى 84
04 / مراسلات الشريف الحسين مع الانجليز و العثمانيين 84
أ / مراسلاته مع الانجليز 84
ب / مراسلات الحسين –مكما هون 85
ج / مراسلات الشريف الحسين مع الأتراك العثمانيين 87
05/ الثورة العربية 1916 88
أ/ الأسباب غير المباشرة للثورة 88
ب / اندلاع الثورة العربية 89
06/ تأمر الحلفاء على العرب 93
أ / اتفاقية سايكس . بيكو .SYKES . PICOT 1916 93
ب/ وعد بلفور 2 نوفمبر 1917 م 95
خاتمة:..... 97
قائمة المصادر و المراجع :..... 102